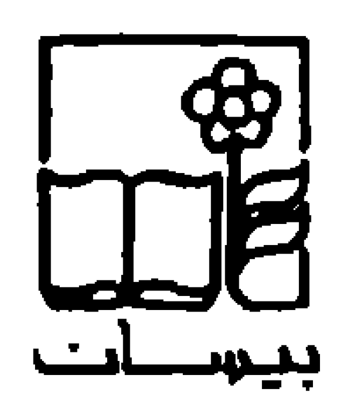
ظرفاء لبنان

إعداد
انطوان القوّال

ظُرَفاءُ لبنان

ظُرَفاءُ لبنان

إعـــداد
انطوان القوّال



* ظرفاء لبنان.
* تقديم وإعداد: أنطوان القوال.
* الطبعة الأولى: آذار ١٩٩٣.

* الناشر: بيسان للنشر والتوزيع.
* العنوان: ص.ب. ١٣/٥٢٦١ بيروت ـ لبنان. هاتف ٨٦٥١٢٦.

المحتويات

الاهداء

إلى أبي محسن، رحمه الله
كان من أهل الظرف، سريع الخاطر
كان حلو المعشر
زهرة المجالس.

انطوان

المقدّمة

الظريف هو الشخص الذي يتمتّع بالذكاء المقرون بالبراعة، وبسرعة الخاطر، والكياسة واللياقة في التصرّف والقول والمظهر. وهو إلى ذلك فكه ضحوك، في نكاته، وردوده، وتعليقه على قول أو حدث. وكثيراً ما يشيع كلامه، ويصبح قولاً سائراً يُردّد في مثل المناسبة التي قيل فيها.

جاء في كتاب «الظرف والظرفاء» للوشّاء:

«اعلم أنّ من كمال أدب الأدباء، وحسن تظرّف الظرفاء، صبرَهم على ما تولّدت به المكارم، واجتنابهم لخسيس المآثم، وأخذهم بالشّيم السنيّة، والأخلاق الرضيّة... يتسرّعون إلى الأمور الجليلة، ويتبطّأون عند الأشياء الرذيلة، فهم أمراء مجالسهم، بهم يفتح عسر الأغلاق، وبهم يتألّف متنافر الأخلاق، تسمو إليهم الآماق، وتنثني عليهم الأعناق، ولا يطمع في عيبهم العائب، ولا يقدر على مثالبهم الطالب...».

ما يشيعه الظريف من ضحك وفرح، يضفي سحراً وجمالاً على الحياة. يقول أنيس فريحة:

«إنّ عالَماً لا ضحك فيه عالَم عبوس متجهّم، وحياة لا مرح فيها ولا ضحك حياة جديبة. نكهة العيش في الضحك، وأطيب أوقات العمر سويعات نقضيها في الضحك والمرح.».

إنّ اللبناني المرح بطبعه، ترك إرثاً غنياً من الفكاهة، زاده غنى «وقيمة» ظرفاؤه، من أهل أدب وسياسة ودين، بما تركوه من نكات وفكاهات، وعبارات غدت مضرب مثل، فكتبت بها لهم الحياة. كانوا وظلّوا في ذاكرة الناس وقلوبهم، لظرفهم ومرحهم.

ظرفاء لبنان كانوا لون الفرح عندنا، وبعضهم اليوم في البال. نستعيدهم بسمة، تضيء ظلمة، وذكرى تزيح همّاً. وما أحوجنا إلى هاتين البسمة والذكرى!.

لقد تتبعتهم في ما قالوا وكتبوا، وفي ماقيل عنهم وكتب، فاخترت ممّا قرأت وجمعت، فكان هذا الكتاب.

إنّه كتاب ظريف ضاحك لوطن آن له أن يضحك.

اهدن ـ مطلع عام ١٩٩٣.

انطوان القوّال



الدكتور شاكر الخوري

(١٨٤٧ - ١٩١١)

الدكتور شاكر الخوري رائد من روّاد النّهضة في لبنان والبلاد العربية، نظراً إلى علمه وثقافته، وبراعته وتآليفه في الطبّ.

ولد شاكر سنة ١٨٤٧ في بكاسين إحدى قرى قضاء جزّين في لبنان الجنوبي. والده يوسف الخوري، كاتم أسرار سعيد بك جنبلاط. وأمّه نور ناصيف من جزّين.

بدأ دراسته الأولى في القرية، فتعلّم مبادىء القراءة والكتابة باللغتين العربية والسريانية. ثمّ انتقل، طلباً للعلم، من بكاسين إلى بلدة المختارة، فمشموشة حيث أدخل مدرسة المطران، وكان ذلك سنة ١٨٥٨.

عندما اشتعلت الفتنة سنة ١٨٦٠ بين النصارى والدروز، هرب شاكر مع أبويه وإخوته إلى النبطية، ومنها إلى صيدا. ولم تعد العائلة إلى مسقط رأسها إلّا بعد إخماد نار الفتنة.

في سنة ١٨٦١ أُرسل شاكر إلى مدرسة عينطورا، فدرس العربية والفرنسية واللاتينية. ثمّ غادرها لينتسب إلى المدرسة الوطنية، مدرسة المعلم بطرس البستاني. وفيها نهل العلم والأدب على يد أساتذة كبار أمثال الشيخ ناصيف اليازجي وابنه ابراهيم، ونظم أول شعره الغزلي.

أنهى دراسته في المدرسة الوطنية، فعاد إلى بكاسين ليفتح مدرسة مع شقيقه، يعلّم فيها أولاد قريته. إلّا أنّه ترك التعليم، ليعمل في مشاغل للحرير مدةً، سافر بعدها إلى القاهرة سنة ١٨٦٧، فدخل إلى كلّية الطب سنة ١٨٦٨ ونال الشهادة بعد ستّ سنوات من الدرس والتحصيل والاجتهاد. ويذكر أنّه في

سنة ١٨٧٤ رافق الأميرة حسن جهان أرملة الأمير بشير الشهابي الثاني الكبير من مصر إلى لبنان، ثم قفل راجعاً إلى القاهرة.

عاد إلى لبنان، ومارس مهنته بنجاح. كذلك مارسها في عكّا ودمشق. لكنّه عاد واستقرّ في بيروت بعد زواجه سنة ١٨٧٩ من مريم خليل التيّان.

في بيروت عمل طبيباً في المستشفى الفرنسي الحديث. ثمّ علّم الطبّ في مدرسة الطبّ الفرنسية للجراحة. وظلّ فيها حتى سنة ١٩٠٨. وفي ٢٤ آب ١٩١١ تـوفّي الدكتور شاكر الخوري، الذي ترك من آثار قلمه وظرفه ما يبقيه حيّاً على مرّ السنين، نخصّ بالذّكر كتابه «مجمع المسرّات»، وهو اسم على مسمّى.

كان شاكر الخوري ناقماً على سيئات الأفراد وآفات المجتمع، وكان يعبّر عن هذه النقمة بنكاته اللاّذعة وظرفه المستحبّ.

يقول عنه الدكتور الياس قطّار في مقدمته «لمجمع المسرات»:

«كان شاكر الخوري طبيباً للنّفس وللجسد، يداوي الناس بظرفه وبنكاته التي تسرّ الفؤاد بالرّغم من مرارة الواقع الاجتماعي الذي تمثله».

سائق الأظعان

يقول الدكتور شاكر الخوري:

في سنة ١٨٨٣ كنت موجوداً في قرية الحدث لمعالجة الأمير يوسف ابن الأمير سليم عبد الله شهاب، الذي كان قاطناً الجيّه ووالدته الستّ سعدا بنت الأمير بشير الكبير مع امرأته الثانية حسنجهان، التي رافقتها من مصر إلى سوريا... وفي مدّة إقامتي هناك حدث يوماً أنّني كنت مرافقاً الأمير حافظ والأمير توفيق المشهورين بالحمق والبلادة وكنت أمشي خلفهما تأدّباً لأنهما أمراء. ففي أثناء سيرنا قابلت أحد أصدقائي الظرفاء وسألني عنهما فقلت ارتجالاً:

سِـرْتُ بـالميـرَيْنِ تـوفيق الفتى   وأخيـه حـافظٍ ذاك الصَبـيّ

نـادتِ الـنّـاسُ عـليَّ وإلـى   سـائقِ الأظعـانِ يَـطْوي البِيْـدَطَيّ

مُنْعماً عرِّجْ على كُثْبانِ طَيْ*.

---

* مجمع المسرّات ص ٣٣٨.

القس المفسد

كان أحد القسوس كثير الحركة والفساد، وكان لا يرى اثنين مُتّفِقَيْن إلّا أبْعَدَهما، أو بَلَدَيْنِ متوافقَين إلّا أفسدَهُما، ومع ذلك يدّعي التّقى والمعرفة بالإنجيل وتفاسيره. وفيما كان يفتخر بهذه العلوم المقدسة، سمعه الدكتور شاكر الخوري فقال فيه:

وقَسٍّ لـلفـسـادِ غـدا إمـامـا
ولـم يَقْضِ الـصـلاة ولا الـصِّـيـامـا
ولـم يَـحْـفَظْ من الانـجـيـلِ قـولاً
سـوى «مـا جئتُ كي أُلقي سـلامـا» *

* مجمع المسرّات ص ٣٣٩.

رابع المستحيلات

دُعي شاكر الخوري يوماً إلى طعام عند أحد الأمراء ويدعى سعيد، فتعجّب من هذه الدعوة، لأن الداعي معروف ببخله. ومهما يُظهر الكرم فلا بدّ من أن يظهر على مائدته ما يدلّ على هذا البخل. قال شاكر:

فحين تناولنا الطعام قدّموا لنا شكلاً يُدعى المحشي، وهو من الكوسا أو الباذنجان أو ورق العنب، ويتكوّن من الأرز واللحم. أمّا هذا المحشي فكان خالياً من اللحم، وأشعرت بذلك من طعمه، غير أنّي أردت أن أتحقّق ذلك، ففتحت واحدة وإذا بظنّي استحال إلى حقيقة، فخطرت على بالي مستحيلات العرب وهي الغول والعنقاء والخلّ الوفي إذ يزعمون أنّها اسم بلا جسم، فارتجلت قائلاً:

قـد قيـلَ إنَّ المستَحيـلَ ثـلاثـةٌ
والآنَ رابـعـةٌ أتـت بـمَـزيـدِ
الـغـولُ والعنـقـاءُ والـخـلُّ الـوفـيْ
والـلّحْـمُ فـي مـحشـي الأمـيـرِ سـعـيـدِ*

* مجمع المسرّات ص ٣٤٠.

أميرة القمل

يروي شاكر الخوري هذه الحادثة:

لما كنت في الحدث لعيادة الأميرة سعدا بنت الأمير بشير الكبير وزوجة الأمير سليم عبد الله التي كانت مصابة بالبول السكري ومعها نكروز في العظم الصدغي، مررت ذات يوم على دار وبرفقتي الخوري حنا ناصيف خادم كنيسة الحدث. . . فرأينا على باب الدّار أميراً شيخاً جليلاً لم أكن أعرفه من قبل، فدعانا ولشدّة إلحاحه علينا أجبنا دعوته، وكان ذلك وقت العصر، ودخلنا إلى غرفة فيها ديوان بالجهة القبلية وآخر بالجهة الغربية، ورأينا أميرة عمرها سبعون سنة تقريباً، وقفت لنا وعند وقوفها سعلت لأنّها كانت مصابة بسعال مع ربو وجسمها سمين للغاية. فلما أبدت هذه الحركة ضربت مدفعاً بصوت جبير لاستقبالنا، وسعلت وعطست، وكان يُسمع مع سعالها دويّ قويّ، فكلّفت الخوري أن يتقدّمني ففعل، وسلّم على الأميرة، ثمّ جلسنا على الديوان، وكانت المدافع تتكرّر مع كلّ سعال. أخيراً حكّت رأسها بشغف وجالت بين أصابعها وجمعت أظافر الابهام وفقستها، فعرفنا أنّها قتلت قملة. ولّما رأيت عملها أخذت ورقة وقلم رصاص وبدأت أكتب، والأمير والأميرة ملتهيان بالحديث مع الأب حنا. وبعد مدّة سألوني عن سبب سكوتي أجبت بأنّني أسطر بعض حسابات أخشى أن أنساها، وبعد برهة استأذنّا بالذهاب، وكان وداعنا كاستقبالنا بدويّ المدافع. ولّما خرجنا قرأت للخوري القصيدة التي نظمتها ارتجالاً، فأغرب في الضحك، وأخذ نسختها، وتبلّغتها الأميرة، فنظّفت ذاتها، وصار إذا حضر أحد مجلسها وأشعرت بالسعال تخرج من المجلس، واستراحت من نهش رأسها، لأنّها غسلته، وحسب رواية الأب لم يبق في رأسها شيء ممّا كانت تعمله، وكانت القصيدة دواءها الوحيد لذلك

الفعل وقد جرت الحادثة في ١٦ آب سنة ١٨٨٣ في الحدث، والقصيدة هي :

جلسنا اليومَ في العصْرِ　　　بقصرِ أميرةِ العصْرِ
أميرة ماجدٍ فتكَتْ　　　بجيشِ القملِ بالعصْرِ
إذا ما عَطَسَتْ قَمَطَتْ　　　تنش القملَ للنَّحْرِ
هناك النّفخُ منتصبٌ　　　بأيديها على شبْرِ
بظفْرِ الباهِمَيْنِ غدا　　　قصاصُ القملِ بالكسْرِ
ترى القتلى ممدّدةً　　　هنا شطرٌ على شطرِ
وبطنُ الكفِّ ممتليءٌ　　　من الأسْرى على الصّدْرِ
بدتْ لِلفَقْسِ فَرْقعةٌ　　　ولم نَعْلَمْ ولم نَدْرِ
أهذا الصّوتُ من دَبْرٍ　　　أمِ الأصواتُ من نَقْرِ
سعالٌ ثمّ فرقعةٌ　　　ورعدٌ من ورا الظّهْرِ
وجيشُ القملِ في هَرَبٍ　　　وفي نحرٍ وفي أَسْرِ
ولا مَلْجا لِمَهْرَبِهِ　　　وقد أبقتهُ في حَجْرِ
عليه الكفُّ كوردون　　　أقامتها على النّحرِ
ظَنَنّا الأرضَ مرجفةً　　　كأنّ القملَ في الحشرِ
فويلُ القملِ إنْ وَقَعَتْ　　　بِكَفِّ أميرةِ العصْرِ*

* مجمع المسرّات ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

شاكر الخوري ومدام فريج

مدام موسى أفندي فريج شغلت بيروت نصف جيل، كما يقول شاكر، بجمالها وذكائها وثقافتها ولطفها وإنسانيتها. فهي إذا وجدت في مجلس، يمكنها أن تكلم الافرنسي والايطالي والنمساوي والانكليزي والالماني والعربي كلاً بلغته. ولو اجتمع مائة شخص معها يرى كلٌ أنَّها تلتفت إليه فهذا تشغله بحديثها، وذاك بنظرها إليه، والآخر بالتفات، والبعض بتبسّم، حتى كأنّها تكلّم الجميع بوقت واحد.

يقول شاكر:

وزرت مدام فريج يوماً فدار بيننا الحديث على الشعر العربي. قالت إنّ للشعر العربي مديحاً ومبالغاته لا يقبلهما عقل بشري، فيقولون لفلانة أنتِ الشمس والقمر وما أشبه، كما ترى بالأشعار التي نظمها لي حنّا بك أبو صعب، ومع أنّه شاعر مجيد اقرأ قصيدته وانظر ما فيها من المبالغة والغلوّ. فأخذتها منها وقرأتها، وكنت أُفكّر بموضوع، فكتبت بقلم الرّصاص على الورقة اسفل القصيدة هذين البيتين:

ما شبّهوا بالبدر وجهك بالسّنا
بل أنتِ حقاً للشموس ضِياءُ
لكنْ لبُعْد مَنالِها وَوِصالِها
فَلأنْتُما عند الوصالِ سَواءُ

فطربت لهما لأنّهما أعظم ما تمدح بهما النساء، وشكرت لي هذا المعنى المبتكر الموافق المقام.

وفي سنة ١٩٠٧ أصابتني نزلة صدرية ألزمتني لترك بيروت قبل ميعادي،

وسَأَلَتْ عن تغيّبي بعضَ الأطباء فقال لها إلى إنّي أصبت بالجنون، وما ذلك إلاّ لتعطيل شغلي، وانتشر هذا الخبر سريعاً في بيروت. ففي أحد الأعياد توجّهتُ لمعايدتها كالعادة، وكان هناك المركيز موسى أفندي، وجمهور غفير، فلما رأتني شهقتْ، وقالت: بلغني أنّك جُننتَ، فما هذه الإشاعة عنك؟ أجبت: لو كنت معرّضاً لهذا المرض لكنت جُنِنتُ يوم رأيتُك أوّل مرّة.

فضحكت وضحك الجميع لهذا الجواب*.

* مجمع المسرّات ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

لو مددت يدك إلى...

يعقوب شاب ذكي جداً، درس الطبّ بالكلية الأميركية في بيروت، وهو شاعر أديب وطبيب ماهر، ومن نحسه أصيب بألم شديد في رأسه، وكانت تحكمه نوبات في الاسبوع، يسجن خلالها في البيت. ولّما تذهب عنه النوبة يعود إليه عقله.

أخيراً اختلّ شعوره، وكان فصيحاً جداً، وقبل أن يصل إلى هذه الدرجة من المرض، اجتمع به الدكتور شاكر الخوري في الحدث قرب بئر الجسر، فقال له يعقوب: مرّ نصف النهار عليّ وأنا أبحث عن طبيب من قفا كلب.

فأجابه شاكر على الفور: لو مددت يدك إلى قفاك لوجدته واسغنيت عن كل هذا التعب*.

* مجمع المسرّات ص ٣٥٣.

الله والشيطان اجتمعا ثانية

كان للأمير منقذ شهاب، صديق الدكتور شاكر الخوري، ابنة تسمى ملكة، وكانت أنموذج الجمال. يخبر شاكر فيقول:

لما كنت مقيماً في الحدث رأيت مع السيدة ملكة فتاةً أخرى تدعى السيدة حُسْن، ولكنها كانت عكس اسمها، ولم ترَ عيني من مصريات وسوريات وخلافهنّ أقبح من هذه منظراً. طويلة القامة. نحيفة الجسم كالمسمار. شبيهة المومياء وجلدها كالجلد المدبوغ للسكافة، وأنفها يزيد عن فمها، وعيناها صغيرتان مستديرتان في وقبيهما لا تفتحان أكثر من ثلاثة ميليمتر، وشدق واسع، إذا ضحكت تبرز منه أسنانها الكبيرة، ومجموع كالباذنجان المحشي أرزاً، بارز، وكانت أين ذهبت السيِّدة ملكة تذهب معها وتجلس بجانبها، فرأيتها مرة، ونظمت الأبيات الآتية:

قـد اجتمـعَ الشيـطانُ بـالله ثـانيـاً
كما اجتمعا في عهدِ أيوبَ سـابقاً
وقـد قـالَ كـلٌّ يخلقُ اليـومَ صـورةً
مثـالاً لـه فيـه يـكـونُ مـطابقـا
لـذا خـلقَ الـرحمـنُ وَجْـهَ مـليكـةٍ
تـرى الشِّبْـهَ فيـه بـالحقيقـةِ نـاطقـا
وهـا صورةُ الشيـطانِ في حسْنَ تَنْجلي
وهـا وَجْهُها للكـونِ قد صـارَ ماحِقا*.

* مجمع المسرّات ص ٣٥٠.

العين الضيّقة

كان عند فخري بك نامي ابن محمود حاكم بيروت، في عهد ابراهيم باشا المصري، وكيل يدير بيته، ويخاف من مداخلة الغير معه، لذلك كان يعبس بوجه الجميع حتى ينزع أمنية البك منهم. وكان فخري بك يكرم أحد الأشخاص ووكيله يتضايق منه.

وفي ذات يوم عالج الدكتور شاكر الخوري عيني البك، ولّما انتهى تقدّم إليه الوكيل وأراد أن يمازحه، فقال له: انظر المرض الذي بعيني. فأجابه شاكر على الفور: لا دواء لعينك لأنّها ضيّقة.

والعامة عندما تصف شخصاً بأنّه ذو عين ضيّقة، فهذا يعني أنّه ضيّق الصدر لا يطيق أحداً *.

* مجمع المسرّات ص ٣٨٤.

تنّين لبنان

كوبليان أفندي صهر واصا باشا، هو الذي سوّد إدارة المتصرّف واصا باشا وأبقى لها أثراً قبيحاً، ولولاه لكانت خير إدارة. . . كوبليان ما كان يعرف غير الدراهم ولا يعمل مصلحة إلاّ بالمال، وقبل أن اشتُهر بهذا الأمر أرسل شاكر الخوري رسالة إلى الأهرام هذا نصّها:

تنّين لبنان

ظهر في لبنان تنّين قصير القامة، أسمر اللون، ذو لحية سوداء، ينظر إلى جميع الجهات في آنٍ واحد. لا يأكل لحماً ولا نباتاً، بل معدناً وخصوصاً معدني الفضّة والذهب. ويجوب لبنان بالطول والعرض، ويستخرج المعادن من الجيوب لا من الأرض. إذا أكل ضحك ولعب ومسح شاربيه، وفرك يديه، وبالعكس إذا لم يُقدّم له الطعام هاج وماج، ورفس برجليه. لم يظهر حيوان مثله في الكون، وقيل أنّه من الحيوانات التي ظهرت قبل الطوفان، لأنْ عندما جمع نوح، عليه السلام، الحيوانات في الفُلْك، وطاف على وجه الماء، استقرّت السفينة على جبال أراراط في أرمينيا، فخرج هذا الحيوان قبل الجميع، نظراً لشراهته، وفلتَ من السفينة، وبقي في بلاد أرمينيا، فنسأل دولتلو واصا باشا أن يقي البلاد منه، وله من أهلها الدّعاء والممنونية*

* مجمع المسرّات ص ٤٦٧.

لاهي الحمار

دخل شاكر الخوري على رجل يقامر، وراح يكلّمه طوال مدّة لعبه. وعندما خسر ادّعى أنّ شاكراً ألهاه، وهذا سبب الخسارة. فقال له شاكر على الفور:

أَلْـهَـيْـتَـنـي يـا شـاكـراً
مـا هـكـذا فِعْـلُ الـصَّـديـقْ
فَـأَجَـبْـتُـهُ إنّـي الـذي
يُـلهي الـحـمـارَ عـنِ الـعَـليـقْ*.

---

* مجمع المسرّات ص ٤٦٧.

مجمع الحشرات

كان الدكتور شاكر الخوري في مجلس، فسأله أحد الحاضرين: هل هجوتَ فلاناً وأدخلته في مجمع الحشرات؟

وكان فلان المقصود حاضراً، وهو ذو قامة هائلة. فأجابه الدكتور: لم أزل في الحشرات ولم أصل بعد إلى ذات الحافر.

الملهوف

شاهد الدكتور شاكر الخوري رجلاً يُدعى الملهوف مصاحباً لنجيب باشا ملحمه لا ينفكّ عنه ليلاً ونهاراً، ويتناول غذاءه في بيته. وعندما اجتمع الخوري وملحمه، طلب منه هذا الأخير أن يقول شيئاً في الملهوف. فقال الخوري:

لَـمـا بـدا المـلهـوفُ وسْطَ ديـارِكم
ولـهُ مـسـاءَ كـلِّ يـومٍ مـطعـمـهْ
صَـدَّقْتُ قـولاً قـد يقـالُ بـأرضِنـا
إنَّ الكـلابَ تعيشُ حـول الملحمـهْ*

* مجمع المسرّات ص ٥١٥.

الشاهد العيان

في خلال زيارته لباريس، صادف أن جلس الدكتور شاكر الخوري مع بعض الأصحاب من مختلف المذاهب. فقال الأرثوذكسي مازحاً: إن الحقّ معنا بولادة المسيح لأنّه ولد في يوم ممطر وعيد ميلاده عندنا في هذه السنة كان ممطراً. وأمّا الموارنة فكان عيدهم صافي الجوّ.

فأجابه أحد الموارنة، وكان ضخم الجثة جدّاً: كلاّ فالحقّ معنا.

أرجع الاثنان الحكم للدكتور شاكر، فأجاب: إنّ الحقّ مع الموارنة لأنّ فلان، أي الماروني الضخم الجسم، كان شاهداً عياناً، لأنّه كان ينفخ على المسيح عند ولادته.

لا عجب

كان الدكتور شاكر الخوري في مجلس، فدخل عليهم رجل أسود الوجه مع زوجة تخجل البدر، فأخذ الحاضرون يتبادلون النظرات، ويتغامزون، ويقول كلّ بفكره يا للخسارة. أمّا الدكتور شاكر فقال:

تكدّرتِ الخواطرُ مذْ رَأَيْنا
بِرفقةِ أسودٍ بَدْرَ التّمامِ
فلا عجبٌ بذا إذْ قد عَرَفْنا
بأنَّ البدرَ يطلعُ في الظّلامِ*.

كاتم الأسرار

التقى الدكتور شاكر الخوري يوماً بمطران راكباً عربة وإلى جانبه كاتم أسراره. وكان الدكتور ماشياً ولما التقى بالمطران صادف أن وقف بجانبه كلب. فطلب كاتم الأسرار من سيادته أن يسأل شاكر عن الذي بجانبه، فقال المطران: ما هذا الرفيق الذي بجانبك؟

فأجابه الدكتور شاكر: كاتم أسراري.

فضحك المطران، أمّا كاتم أسراره فكتم الغيظ أكثر من السرّ**.

---

* مجمع المسرات ص ٥٣٦.

** مجمع المسرات ص ٥٣٧.

حالة الانسان في الشرق

اللهُ أَوْجَدَني في أرضِ لبنانِ
والأصلُ سريانُ والإيمانُ موراني
أصبحتُ مضطهداً من كلِّ طائفةٍ
من كلِّ جنسٍ ولو كانوا كجيراني
إنْ قلتُ سريانُ فالأعرابُ تبعدُني
والسودُ تبغضني والفرسُ تَهْزاني
أمّا الفرنجي فَوُدّي لا يُصَدِّقُهُ
لو كانَ إيمانُه في الدِّينِ إيماني
أو شامَني عربيٌّ في نُهى وذكا
يقولُ في قلبِهِ ذا الوغْدُ سرياني
أو شامَني مسلمٌ في الجاهِ مفتخِراً
يقولُ في سرِّهِ ذا الكلبُ نصراني
أو شامَني أرثوذكسيٌّ فأعجبُهُ
يقول يا ليتَه قد كانَ يوناني
إذا لقاني فرنجيٌّ ومازَحَني
يقول في قلبِهِ هذا لفنتاني
إنَّ البروتستنت إن قابلته سَحَراً
نادى أعوذُ بربّي ذاك روماني
إذا أتيتُ لصيدا واشتُهرتُ بها
قالوا بأنّي فلّاحٌ ولبناني

لا العلمُ يَنْفَعُني لا العقلُ يرفَعُني
لا العدلُ يحفظني من مذهبٍ ثاني
أين البلادُ التي تحنو إلى أدبٍ
وتحسب اليوم أفضالاً لإنسانِ
من دونِ جنسٍ وِدينٍ أو بلا وطنٍ
يقدّرون الفتى قدْراً لإحسانِ
ما الذّنب لي إنْ براني الله في بَلَدٍ
صغيرة أو بدينٍ غيرِ أديانِ
أو كان لبسيَ طربوشاً وكوفيةً
أو مأكلي دون سكّينٍ لألوانِ
فالرأس رأسي وكفّي لي غدت وكذا
والأرض أرضي والأسنانُ أسناني
لو كان أكْلي بلا سكّينٍ مصطلحاً
يضرّ أسنانه بالحقّ ينهاني
لو كان دِيني ينادي كي أضرَّ به
له عليَّ حقوق الكره والجاني
لكنّ بالعكس ديني قد يُعلّمني
إذا أساءَ أباديهِ بغفرانِ
له عليّ يمينٌ لا أضرُّ بِهِ
هذا هو الدّين والدّنيا للانسانِ *.

* مجمع المسرّات ص ٤٤٠.



أسعد رستم

(١٨٧٨ - ١٩٦٩)

هو شاعر مهجري فكه، ظريف في حياته وفي شعره. والده مخائيل رستم من الشوير، صاحب أول ديوان طبع في نيويورك. أمّه روجينا شحادة من زحلة.

ولد أسعد في بعلبك سنة ١٨٧٨. عند بلوغه الثانية عشرة أرسله والده إلى مدرسة الشوير، ومنها إلى مدرسة زحلة العالية، حيث أمضى سنة، انتقل أسعد بعدها إلى مدرسة سوق الغرب فأمضى عاماً من الاجتهاد، ثمّ غادرها إلى مدرسة صيدا العالية، فالكلية في بيروت، وفيها برع في الخطابة.

سافر إلى نيويورك، حيث عاشر أهل الصحافة والأدب، فاكتسب منهم المعرفة وأصول اللغة ونظم الشعر، حتى أصبحت الصحف والمجلات تقبل على نتاجه وتنشره. ولم تمنعه تجارة السجّاد العجمي الفاخر، التي مارسها ونجح، من مراودة الشعر.

سنة ١٩٥٨ عاد إلى لبنان بعد خمسين عاماً من الغياب. وكانت وفاته سنة ١٩٦٩.

من آثار أسعد «الرستميّات» و«ديوان أسعد رستم». تميّز شعره بالظّرف والفكاهة والانتقاد اللاذع لعيوب الأفراد والمجتمع. كما تميّز باستعمال الكلمات والتعابير العامّية التي تفي بالغرض، وتعبّر عن المعنى المطلوب، ما جعل شعره يدخل الإذن والقلب معاً.

قال عنه فيلكس فارس: «سمعت البارحة أسعد رستم يلقي من على المرسح قصيدتين من نظمه المشهور. فأعجبني في الرجل رباطة الجأش

وأدهشني من الشاعر وجود قوة مزدوجة في أفكاره. فهو يناجي الفيلسوف ويتلاعب بعاطفة المتفكّه كيفما شاء الخيال».

وقال أميل خوري: «أسعد رستم يطعن الحقيقة ولا يحوك لها من الخيال الفارغ درعاً يقيها طعنته النجلاء. غير أنّه يعود بعد حملته الشديدة فينسج من الخيال البديع قناعاً يستر به الجرح الذي فتحه فيشغل السامع المطعون بحقيقته عن التذمّر والغضب بالضحك والمزاح. يضرب ويعزّي. يدمي ويضمّد. وتلك، والله، أفضل وسيلة للتهذيب. فليس رستم إذاً بالشاعر الفكاهي فقط ولكنّه أخلاقي اجتماعي أيضاً».

عواميد وعواميد

لّما كان رستم رئيساً لتحرير جريدة المهاجر، عرض على الكتّاب الأدباء بدلاً مالياً لقاء كلّ عامود يكتبونه في جريدته من المواضيع الأدبية. فأجاب طلبه كثيرون، منهم كاتب ثقيل الدم بقي له في ذمّة الجريدة، بعد أن تركها رستم وباعها من غيره، ثمن ثلاثة أعمدة لم تُدفع له سهواً، ولا تتجاوز قيمته الريال. فأخذ هذا الكاتب يزعج رستم يوميّاً برسائل المطالبة بدفع ثمن تلك الأعمدة الثلاثة، وهو لا يردّ عليه نكايةً فيه، حتى إذا طفح الكيل أخذ أسعد القلم وكتب إليه مجاوباً:

عزيزي

أمّا بعد، فإنّ أفضل شيء أعـزيك به عن خسارتك ثمن أعمدتك الكتابية الثلاثة، هو أنّ للملوك الرومانيين القدماء في هياكل قلعة بعلبك ستة أعمدة ضخمة شاهقة، تركوها منذ ألوف من السنين، وفارقوا الدنيا غير آسفين عليها، فالعمى في قلبك حلّ عنّا*.

* الرستميّات.

عشّاق

ندر وجود جريدة عربية لم يهد أسعد منها إلى أصحابه بالآحاد والعشرات. وكثيرون هم الصحافيون الذين نشّطهم وأعانهم بأقواله وأمواله. غير أنّ بعضهم، من منكري الجميل، لّما امتنع أسعد عن مساعدتهم، انقلبوا عليه وأهانوه، فدعوه جاهلاً بعد أن كان عالماً، وصغيراً بعد أن كان كبيراً، ممّا حمل أسعد على الردّ عليهم بقوله:

«لمّا كانت أيدينا في أشداقكم كنتم من عشّاقنا وكنّا من عشّاقكم». *

صورة محامٍ

كتب أسعد على رسم محامٍ تصوّر ويده في جيبه:

أَخَذَ المحامي رَسْمَهُ وبِجَيْبِهِ
يَدُهُ وذلك ليس من مَبْداهُ
ولَكانَ ذاك الرَّسْمُ أَصْدَقَ مَنْظراً
لو صُوِّرَتْ يَدُهُ بِجَيْبِ سِواه**

* عن الرستميّات.
** الرستميّات.

توصية شهادة

أقلق أحد الثقلاء راحة أسعد، وهو يطلب منه كتاب توصية به وشهادة له، فأعطاه الكتاب التالي:

إلى كلّ من يهمّه الأمر.

أنا أسعد رستم موقّع هذه الأسطر من أشرف الخلق طينة، وأقلّهم هدواً وسكينة. أملك قرية وأحكم مدينة. أشهد أمام الله وعبيده أنّ الشخص الحامل هذا الكتاب هو أشبه بإنسان منه بحيوان، له رجلان ويدان وأذنان وأنف واحد. لا يعضّ، ولا يلبط! فلا تخافوه*

بين لصّين

نظم أسعد هذه النكتة فقال:

كـافِـرٌ قـال: أَحْـضِـروا لِـيَ قـسّـاً
مَـعْ مُـحـامٍ إلى فِـراشـي سَـريعـا
فَـأَتَـوْهُ بِـمـا يُـريـدُ وقـالـوا
قَـدْ ذُهِـلْـنـا مِمّـا طَـلَبْـتَ جَـمـيعـا
قـال: إنّـي اشْـتَـهَـيْـتُ هـذا لأقـضـي
بـيـن لِـصَّـيْـنِ كالـمـسـيـحِ يَـسوعا*

* الرستميّات.

لبنان يتكلّم ويتألّم

صاحَ لبنانُ من فَمِ الميزابِ
أَيُّها النّاسُ عِلَّتي أحزابي
عِلّتي داخليةٌ أَزْمَنَتْ فيَّ
فَشَلَّتْ أَعْراضُها أعصابي...
نَظِّفوا داخلي سريعاً وإلاّ
متُّ من شرِّ هذه الأسبابِ
جرعةٌ من «منازيا» العِلْمِ تكْفي
لجلاءِ الدُّجى وشقِّ الحجابِ
ولِتَطْهيرِ كلٍّ ما في بعبدا
من فسادِ الحكّامِ والنوّابِ
ولِنَرْتاحَ من رؤوسٍ رؤوسٍ
سكنوا في رؤوسِ تلك الرَّوابي
من سَريٍّ وفاضلٍ ووجيهٍ
وغنيٍّ عالٍ منيعِ الجنابِ
من وُلاةٍ بِفَضْلِ إهْمالِهِمْ قد
أَصْبَحَ الشَّرُّ ضارِبَ الأطنابِ
من نزاعٍ ومن نفورٍ قديمٍ
بين دوما وبين بيت شبابِ
من رجالٍ شبّوا وشابوا على الظلمِ
وهَضْمِ الحقوقِ والاغتصابِ..

مـن إنـاسٍ يـسـتـعـمـلون لإدْراكِ

الـمـعـالـي وسـائـل الإرهـابِ

يجبـرون الفقيـر ظلمـاً على التصـويتِ

لـلأغـنـيـاء فـي الانـتـخـابِ

ألجمـوا بـالـبـرطيـل عـدلـي حتـى

ركـبـونـي بـالـجـور والارتـكـاب

حـالـة تـحـزن القـلوب لمـا فـيهـا

مـن الانـقـسـام والانـقـلابِ* ..

* ديوان رستم ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

بُدران؟

كان عند الأرمني بدران آغا كلبة ولها جروان فاقترح على أسعد رستم تقريظاً للكلبة وجروَيْها مشترطاً النكتة، ولو جرحت، فأنشده رستم هذين البيتين:

عنـد الصَّـديقِ رأيتُ يـومـاً كَـلْبَـةً
حسنـاءَ في أَحْضـانِـهـا جَـرْوانِ
قـال الصـديقُ إذا قَـدِرْتَ فَصِفْـهُمـا
شعراً فقلتُ له هما «بدران»*؟!.

* ديوان رستم ص ٣٧٤.

ضربة على النافوخ

توفّي الشيخ ابراهيم اليازجي اللغوي المدّقق (كثيراً) في غضون مداعبة هزلية بين الكاتب الفكاهي شكري أفندي الخوري صاحب جريدة «أبو الهول» في البرازيل وأسعد رستم، الذي أنشده هذه الأبيات بعنوان «ضربة على النافوخ»:

قـد مـاتَ الـشيْـخُ فـوا أَسَـفـا
فـي الأوّلِ مـن هـذا الـحـوْلِ
والـشـيـخُ إمـامٌ كـان يُـفـيـدُ
الـنّـاسَ بِـفِـعْـلٍ مـع قَـوْلِ
نَـسَـجَ الانـشـاءَ بـإتْـقـانٍ
كَـحَـريـرٍ يُـنْـسَـجُ بِـالـنَّوْلِ
يَـتَـأمَّـلُ جُـمْـلَـتَـهُ فَـيُـقـيـمُ
عـلـيـهـا الـمـؤتـمـرَ الـدّولـي
نَـقَـدَ الـشُّـعـراءَ من الـمـتـنـبّـي
ربِّ الـشّـعْـرِ إلـى الـصُّـوْلـي
نَـقَـدَ الـكُـتّـابَ بـلا اسْـتِـثْـنَـاءِ
مـن خـلـدون إلـى الـخـوْلـي
حـتّـى قَـتَـلَـتْـه ركـاكـةُ شـكـري
الـخـوري ضـمـن (أبـو الـهـولِ)*!

* ديوان رستم ص ٣٧٤.

بلدية بيروت

بـلديـةُ بيـروت أَنتَحَسَتْ بـطرتْ من كثـرة مـا لَحَستْ
ومـطالبَ أَهْـليهـا رَفَسَـتْ فَـأَبَـتْ لـلحـال اسـتبـدالا
وحلٌ وحلٌ لا لا لا لا

جـمعـوا مـن سكـانِ البلدِ مـالاً يـغـنـي ولـدَ الـولـدِ
والـنَّـاس بـه لـم تـستـفِـدِ فـالـمـالُ هنـالـك مـا زالا
بجيوبهم؟ لا لا لا لا

لَـمـاسُئـلوا عـمّـا فـعـلوا قـامـوا قعـدوا عتبـوا زعلوا
وبـنيـران الـغيظ اشـتـعـلوا وعـلـيـنـا صـبّـوا الأوحـالا
هل ذلك عدلٌ؟ لا لا لا

أَرِجـالَ الأمـرِ ذوي الـرُّتَـبِ غُصْنـا في الوحـل إلى الرّكبِ
لِتَهـامُلِكم هـل مـن سببِ فـلقـد كـابَـدْنـا الأهـوالا
أمّا أنتم لا لا لا لا

كم بـركـةِ مـاءٍ في السُّـوقِ بلغتْ بـالْـطّولِ إلى الـزُّوقِ
مَنْ لي بـالْمَـالِ المسْـروقِ يـأتـي فَيُـنَـظِّفُـهـا حـالا
هل يمكنُ ذلك لا لا لا

حُـفَـرٌ حُـفَـرٌ حُـفَـرٌ حُـفَـرٌ منهـا الأَهْـلونَ لقـد كَـفـروا
كم مِنْ رِجْـلٍ فيهـا كسـروا أو جِمْـلٍ عن جَحْشٍ مـالا
وجنابُكُمُ لا لا لا لا

حَـيّـاتٌ فـيـرانٌ بطٌّ غـاصـوا عـامـوا قَفَـزوا نَـطُّوا
فـهـمُ كـالـنّـاسِ إذا انـغـطُّوا في الْـوَحْـلِ تَـراهم أَشْكـالا
سَمَكٌ أم ناسٌ يا لا لا

أَسَمِعْتَ بما في المستشفى من داءٍ منه لا تشفى
طاعونٌ يُورِدُكَ الحَتْفا ويُيَتِّمُ منكُ الأطفالا
أصحيحٌ هذا لا لا لا
قالوا قد نلْنا القانونا وبتلك النِّعمةِ زاحونا
والآنَ بَلَغْنا كانونا والظُّلْمُ يَزيدُ استفحالا
والحالةُ فَوْضى يا لا لا *.

---

* ديوان رستم ص ٣٤٦ - ٣٤٧.

الحمار والانسان

الانسان: أنتَ تنهق.

الحمار: أنت تتشدّق.

* * *

الانسان: تنام على الأقذار.

الحمار: تنام على الضيم.

* * *

الانسان: أنت تأكل الشعير.

الحمار: أنت تشرب عصيره [1].

* * *

الانسان: أذنك طويلة.

الحمار: يدك طويلة.

* * *

الانسان: أنت على الأربعة تدبّ.

الحمار: أنت بالأربعة تسبّ.

* * *

الانسان: أنت تفخر بخالك الحصان.

الحمار: أنت تفخر بحصان خالك.

* * *

الانسان: تتقيّد باللّجام.

الحمار: تتقيّد بالكلام.

* * *

(١) يقصد مشروب البيرة.

الانسان: ترفس برجلك.

الحمار: تطعن بلسانك.

* * *

الانسان: تنام واقفاً.

الحمار: تقف نائماً.

* * *

الانسان: صاحبك يحمّلك.

الحمار: تحّمل صاحبك.

* * *

الانسان: أنت صاحب ذَنَب.

الحمار: أنت صاحب ذَنْب.

* * *

الانسان: أنت تعنفص.

الحمار: أنت تتكبّر.

* * *

الانسان: عليك جِلال.

الحمار: ما عليك جَلال.

* * *

الانسان: أنت تعلّق المخلاة.

الحمار: أنت تتعلّق بزوجتك.

* * *

الانسان: أنت يابس الرّاس.

الحمار: أنت يابس القلب.

* * *

الانسان: أنت حمار.

الحمار: وأنت انسان*.

---

* ديوان رستم ص ٣٠٧.

رواج وبوار

قال الشاعر أسعد رستم في صديق حلق شاربيه وطلب منه تقريظاً:

حَلَقَ الخِلُّ شارِبَيْهِ فَأَضْحَتْ
في رواجٍ تجارةُ الحلّاقِ
وَخَلا وجهُهُ المليحُ من الشَّعْرِ
فبارتْ مكانسُ الأَسْواقِ*.

---

* ديوان رستم ص ٢١٧.

استشارة

كتب أحدهم إلى أسعد رستم يستشيره في أمر صديق له وكيف أمره ويثنيه عن عجرفته، فأجابه بهذين البيتين:

يـا مَـنْ بُـليـتَ بِـصـاحـبٍ متعـجـرفٍ
وَوَجَـدْتَ صـعـبـاً أنْ تـديـرَ مِـراسَـهُ
إنْ كـانَ أقـوى منـكَ فَـاحْـذَرْ بَـطْشَـهُ
أَو كنتَ أقـوى منـه فَـاكْـسِـرْ رأسَـهُ

سوء هضم وهضم سوء

سألته جريدة الفتاة عن سبب سكوته الطويل مدّة ست سنوات، فأجاب بقصيدة حملت عنوان «سوء هضم وهضم سوء»، أوضح فيها سبب هذا السكوت بطريقته الرستميّة. قال:

المصابُ الذي قضى بِسُكوتي
سوءُ هَضْمٍ لِقطعةِ الْبَسْكوتِ
مرضٌ ما تَمَلَّكَ البعضَ حتّى
سافروا عاجلاً إلى الملكوتِ
مرضٌ ناتِجٌ عن النَّهْمِ والإفراطِ
مِن كلِّ مَطْلبٍ مَمْقوتِ
واضطرابِ الأفكارِ من فَرْطِ هَمٍّ
وكسادِ الأشغالِ في الحانوتِ...
كم عليلٍ قد ذابَ منه نُحولاً
بعد أنْ كان ناصِحاً كالحوتِ
هَدَّ منّي القوى وقد كانَ عندي
مثلَ شرْبِ المياهِ قَلْعُ التُّوتِ
والأطبّاءُ كم وكم وَصَفوا لي
من عقاقيرَ جَمَّةٍ وَزُيوتِ
منعوني عَنِ الطَّعامِ فَأَمْسَيْتُ
كَخَيْطٍ واهٍ من الْعَنْكَبوتِ

شَمِتَ الحاسِدونَ بي وَأَرادوا
لِيَ نحْو الجحيم قطعَ التّكوتِ[1]
نَحتوني مِنْ بعدِ أَنْ نَعَتوني
بالكلامِ المزخرفِ المنحوتِ
كانَ كلٌّ منهمْ يُحاوِلُ أن يُحْدِثَ
صَوْتاً بِطَبْلِهِ المفْخوتِ
غيرَ أنّي لقد تعافَيْتُ جدّاً
فَكَسَرْتُ الرؤوسَ بالنُّبُوتِ
فَأَنا اليومَ مِثْلَما كُنْتُ قَبْلاً
شاسِعَ الصِّيتِ واسِعَ الْجَبَروتِ
إنّما سوءُ الهضْمِ خَيْرٌ لَنا مِنْ
هَضْمِ سُوءٍ فَشا بِبَعْضِ البيوتِ
أَشْكُرُ اللّهَ قد شَفيتُ وَلولا
تَوْبَتي اليومَ كنتُ في التّابوتِ
أَنفُسُ الأصدقاءِ عَيْشي وأمّا
أَنتِ يا أَنفُسَ الأعادي فموتي*.

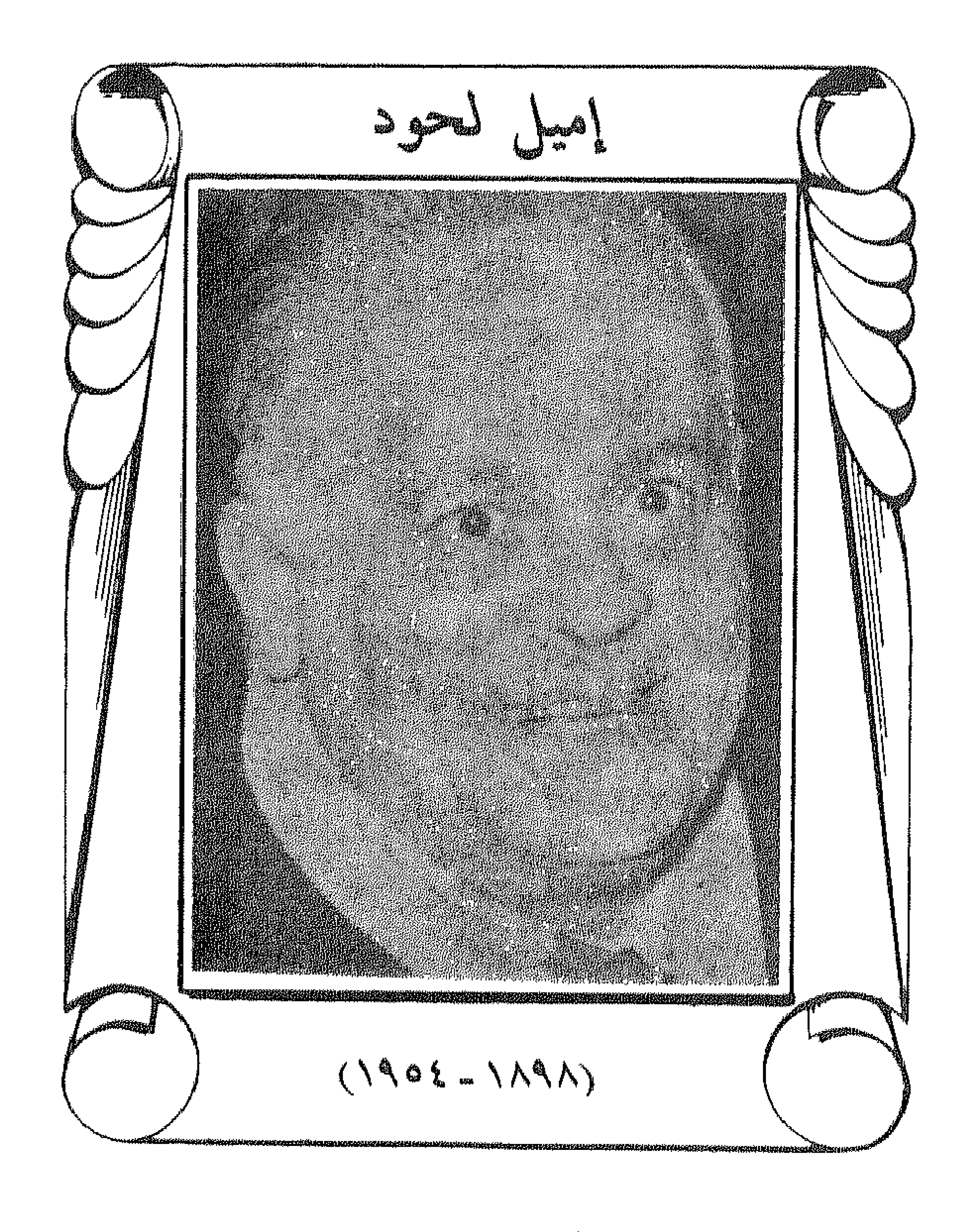
(١) التكوت: جمع تكت: بطاقة سفر. (دخيلة).
* من الرستميّات.

ديوك وديوك

قال أسعد رستم يصف واقع البلاد العربية:

بَني وطني أَمْسِ صادَفْتُ قِنّاً
تعالى الغبارُ به وَاضْطَرَبْ
فَأَبْصَرْتُ ديكَيْنِ يَقْتَتِلانِ
على الزُّبْلِ مثْلَ رِجالِ العَرَبْ
فهذا يصيحُ أنا مِنْ دِمَشْقٍ
وذاك يصيحُ أنا من حَلَبْ
وذا قالَ في لُغَةِ التُرْكِ «سَكْتِرْ»
وذا قالَ في الانكليزي «شَطَب»
فَيا لنزاعٍ بدونِ دَواعٍ
ويا لَسَبابٍ بدونِ سَبَبْ
فإنْ أنا شَبَّهْتُكُمْ بالديوكِ فما
من ملامٍ وما من عَتَبْ
فما هيَ إلاّ ديوكُ الدُّجاجِ
وما نحن إلاّ ديوكُ الحَطَبْ*

* الرستميّات.


إميل لحود
(١٨٩٨ - ١٩٥٤)

محامٍ لامع، سياسي بارز، اشتهر بظرفه وحدة ذكائه، وسرعة خاطره.

ولد في بعبدات سنة ١٨٩٨. تلقى علومه الأولى في المدرسة الوطنية في مسقط رأسه. ثمَّ انتقل إلى معهد الحكمة في بيروت، ومنها إلى معهد الحقوق الفرنسي، حيث نال الإجازة سنة ١٩٢٢، وتدرج محامياً في مكتب يوسف السودا، أحد الخطباء ورجال النهضة في لبنان المعروفين.

في سنة ١٩٤٣ انتخب نائباً وأعيد انتخابه سنة ١٩٤٨، وفي سنتي ١٩٤٥ و١٩٤٦ عيِّن وزيراً للمالية، وفي سنة ١٩٥١ عين وزيراً للتربية الوطنية.

وكانت وفاته سنة ١٩٥٤.

كان إميل لحود أحد المحاضرين الذين اعتلوا منبر الندوة اللبنانية لمؤسسها ميشال أسمر.

كما عرف عنه مصادقته لشعراء الزجل، وارتجاله الشعر العامي في المناسبات، التي ينطلق فيها أميل على سجيته، فيطلق نكاته الحلوة والمرّة على السواء. ونوادره هذه أبقت اسمه حيّاً في ذاكرة اللبنانيين.

فزت بالنزول

عام ١٩٤٨، شغر في مجلس النواب مقعدان عائدان للطائفة المارونية في دائرة محافظة جبل لبنان. فترشّح لهذين المقعدين كل من أميل لحود والشيخ سليم الخازن. وكلاهما كان محسوباً على رئيس الدولة آنئذٍ الشيخ بشارة الخوري. وبحكم هذه المحسوبية لم يترشّح أحد ضدّهما. غير أنّهما أصرّا رغم ذلك على إجراء عملية انتخابية كالمعتاد رغبة منهما في إظهار شعبيتهما، في حين كان فوزهما بالتزكية مضموناً.

عقب إعلان نتيجة الانتخاب التي كانت معروفة سلفاً، فتح كلّ من النائبين الجديدين أبواب منزله لتقبّل التهاني.

كان منزل اميل لحود في برمانا يغصّ بوفود المهنئين عندما وصل وفد برئاسة صديقه اللدود الدكتور يوسف شرابيه (ومثله كان مولعاً بقول الزجل) وتعذّر عليه الوصول إلى قاعة الاستقبال بالنظر إلى شدّة الازدحام...

ولما التقى بعد لأي صديقه اميل وعانقه مهنّئاً، افترّت شفتاه عن ابتسامة ذات معنى، ففهم اميل معناها فوراً وقال له:

«بوجهك حكي. بدّك تحكي. احكي».

فارتجل الدكتور لتوّه الأبيات الزجلية التالية:

لا تهيّص ولا تدقّ طبول
فزت بحيث الدرب نزول
لو في شي مرشّح ضدّك
وفزت عليه كنّا منقول

فقهقه اميل لذلك وقال: كفيّ، كفيّ..

فقال الدكتور:

زبـونـاتـك كـلّن خـفّـة   وجـابـوا تـذاكـر بـالقفّـة
مـن كـلّ اثنـين انـتخـبـوا   واحـد منهـم متـوفّـي..*

---

* ذكريات ص ٦٤ - ٦٥.

اميل لحود... والمعتدي عليها

«كان المرحوم إميل لحود، الوزير والنائب والمحامي اللبناني، مشهوراً بروحه الخفيفة المرحة... وقد جاءه ذات مرة شاب متهم بأنه اغتصب فتاة... ومع أنه بريء من تهمة الاغتصاب القسري، باعتبار أن الفتاة كانت راشدة، وصديقة له، وقد حصل الأمر برضاها... فقد كانت القرائن جميعاً تدل على أنه اغتصبها اغتصاباً.

ولما لم يجد إميل لحود وسيلة قانونيّة لاقناع المحكمة ببراءة موكله من التهمة، عمد إلى حيلة لطيفة، وطلب إلى موكله أن لا ينطق بأي حرف، يوم الجلسة.

وانعقدت المحكمة، فوقف إميل لحود يترافع على هذه الطريقة:

- يا سيدي الرئيس. هذا المجرم السافل الحقير الغشاش المخادع المغتصب المعتدي على شرف هذه الفتاة المسكينة الطاهرة التقيّة النقيّة البريئة الشريفة... رغب أن أكون وكيله في هذه الدعوى...

وبصفتي وكيلاً عنه، فإني لا أطلب له أية رأفة أو شفقة لأن أمثاله يشكلون خطراً على الأخلاق والمجتمع».

عندئذٍ شعرت الفتاة المدعية أنها كسبت الجولة، واستأنست بإميل لحود الذي ظنته اتخذ موقفاً مؤيداً لها...

لكن إميل لحود أكمل:

- غير أنني يا سيدي الرئيس، أرى نفسي مضطراً لتبرئة ذمتي مع الموكل المجرم الخطير، لذلك أطالب له بتعويض بسيط عن الضرر الذي ألحقته هذه

الضحية المسكينة الطاهرة بفراش سريره، عندما مزقت «بسكربينتها» لحافه، أثناء قيامه بعملية اغتصابها. . .

وسرعان ما صرخت الفتاة، محتجّة تقول:

ـ فشر. . . آ. . . أنا ما كنت لابسة سكربينة، لما كانت نايمة فوق التخت حتى يطالبني بمثل هذا التعويض؟

وانفرجت أسارير إميل لحود. . . واتجه إلى رئيس المحكمة قائلاً:

ـ سجّل يا سيدي أنّ امرأة راشدة تخلع حذاءها وتنام على سرير. . . وتدّعي بعد ذلك أنّها اغتُصِبَتْ اغتصاباً. . .

وربح إميل لحود الدعوى. . .*.

* نوادر القضاة والمحامين ص ١٥.

نضوة. . . !

توجه إميل لحود لزيارة صديقه القاضي فارس نصار في بكفيا، فوجد باب منزله مقفلاً، وشاهد على عتبته «نضوة» معلقة، والنضوة توضع، تقليداً، لاستجلاب الحظ السعيد. فترك له على الباب هذه القرادية:

علق نضوة بـ باب دارو   بلكي يبيض نهارو
بعلمك كان معو قرشين   لما علقها، طاروا

ما كاد نصار يطّلع على القرادية حتى كتب إلى صديقه:

انتحس من نضوة بابو   جرب حظو بنوابو
بـ النضوة طاروا القرشين   بـ نوابو باع تيابو

وعلق الدكتور يوسف شرابيه على الاثنين:

لا نايبنا يتباهى   ولا قاضينا يتجاهى
كانوا شقفة، صاروا ثنين   بحيث الشقفة قسمناها*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٠.

محكمة بعبدا

داعب إميل لحود قضاة محكمة استئناف بعبدا بقرادية ظريفة، ما أن قالها حتى صارت على كل لسان، وهي صورة لما كانت عليه الحال في الماضي:

خمس قرارات اعداد وستة تأجيل
بشارة وجاد والبغدادي هيئة تكميل
والدعوى دادي دادي من جيل لجيل
مني لبيي لولادي لبندق بو فتيل*

---

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٠ - ٦١.

بو مدلج والتنوّكي

أوكلت أحداهن إميل لحود في دعوى مهمة، فطلب منها. . وكان يعرف أنها حشرية أكثر من اللزوم ـ عدم التدخل وترك الأمر له، وهو «يتكفل» لها بربح قضيتها.

لم تستطع أن تقف مكتوفة اليدين. فـ «برطلت» الياس بو مدلج والياس التنوكي وطلبت منهما أن يشهدا لصالحها أمام القاضي.

وحال مثولهما في المحكمة، انكشف أمرهما وخسرت السيدة الدعوى.

بعد الجلسة التقت المحامي لحود وقالت له: «هيك بتريد يصير فيي»؟

ضحك إميل وقال لها:

من الساحل جبتي الياسين بومدلج والتنّوكي
تَاشهدو قرطو ريالين وقرطو الدعوى وقرطوكي*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦١.

مضاربة

التقى إميل لحود بصديقه أسعد سابا. قال له: «صاير عم بتضارب علينا يا أسعد». أجاب أسعد باستغراب: «بشو عم ضارب عليك يا استاذ». ابتسم لحود وقال: «ولو، أنت ذكي... وبتعرف».

... وعرف أسعد، وأجاب بالقرادي:

دخلك ليش بتحكي هيك   حوّا حكيتلي عنك
مين بدو يضارب عليك   الله ينجينا منك

قال لحود:

خليها بيني وبينك   خود الرده وجوابا
أوعا ارفع من عينك   عيني يا أسعد سابا*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٢.

باقي نص

زار اميل لحود بلدة صغبين (البقاع) والتقى بصديق ظريف قصير القامة. وقال له مداعباً:

حاجي عينك فيي تبصّ   وحاج تتلصلص مثل اللصّ
كل الحق على إمك   جابت نصّ، وخلت نصّ

ولم تمر هذه المداعبة بسلام، واستلم لحود الجواب التالي:

ريتو يسلملي تمك   ومثل الورده عم شمّك
بيي عطي أمي النصّ   ونصّ الثاني لأمك

وفي مناسبة مشابهة، في مزرعة يشوع قال لحود لأحدهم:

بقول الرده ع تنها   وجيب قوالي ثمّنها
امك لمن حبلت فيك   كان بيك غايب عنها*

---

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٢.

شحّاد الحملاوي

في سهرة أقيمت على شرف وزير المال اميل لحود، كان بين الحضور الشاعر طانيوس الحملاوي وكانت عينه مصابة «بالشحاد» فابتدره لحود مداعباً:

هـ الحملاوي يا حينو غارق للديني بـ دينو
بـ عينو طالعلو شحّاد وهوي الشحّاد بـ عينو

أجاب الحملاوي غامزاً، ومستغلاً «اتهام» كمال جنبلاط له، بسياسة التبذير:

يا وزير المصريات تركني وحاسب وجدانك
عشنا هـ العمر خواجات وما شحدنا غير ع زمانك*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٣.

الحق المضمون

لم يستطع إميل لحود كسب احدى الدعاوى، مما أغضب موكله، فقال له محتجاً: مش معقول تخسر الدعوى، أنا صاحب حق. . . !

ابتسم لحود وقال:

ال بـدو حقو يكـون مضمـون ويـوكّـل أفـوكـاتـو
يـوكّـل أفـوكـاتـو يـكـون القـاضي مصاحبلو مـراتـو*

برنيطة

دخل إميل لحود إلى قصر العدل، وكان الزمن زمن شتاء، فشاهد صديقه جان جلخ (نقيب المحامين) يلبس قبعة عتيقة «أكل الدهر عليها وشرب». فابتدره:

لابس هـونـي بـرنـيـطة والـغـبـرة عـليـهـا غـطـيـطة
آخـدهـا من شي تـرامـوي غـلاقـة بـدال الشحيّـطة*؟

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٣.

أبشع وجه

عرف الشيخ شاهين حبيش بصفات ثلاث: ظرفه، حلاوة قلبه، وبشاعة وجهه.

إميل لحود اختصر ذلك بقرادية:

لا تحسب بحكي عن طيش أو كل كلامي فوفيش
أحلا قلب بـ أبشع وجّ موجود بـ شاهين حبيش*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٤.

بياع توابيت

تزوج حانوتي من صبية حلوة، بعد أن أثرى بسبب الحرب. التقاهما إميل لحود في سهرة عند صديق. وبرغم ظرف لحود ونكاته واحاديثه، ظل الحانوتي على رصانة مصطنعة مما اضطر زوجه «المصون» إلى مسايرته. أفتعل إميل لحود عدم معرفته بهما، وسأل صاحب السهرة بصوت مرتفع، عن «الأستاذ وزوجته». استدرك صاحب السهرة، وعرّف بضيفيه بشكل مقتضب. وكان ذلك كافياً لاميل لحود فقال للحانوتي:

مهمـــا عليت ومـهمـــا وطـيت ومـــع ذوات الـنـــاس مشـيـت
هـ الــهـيئــة مـــا بــتـخــبـي هــيئــة بــيـــاع تــوابــيــت*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء، ص ٦٤.


مارون عبّود
(١٨٨٦ - ١٩٦٢)

أديب لبناني، وقاصّ، وناقد أدبي واجتماعي، ذو أسلوب متميّز بالدّعابة الساخرة، وبدقّة الملاحظة، ولباقة التعبير، وبالبساطة والعفوية. عرف بشيخ الأدباء في لبنان وعميدهم.

ولد مارون عبود في عين كفاح في قضاء جبيل سنة ١٨٨٦. تعلّم في مدرسة تحت السنديانة في الضيعة. ثم تنقّل من مدرسة مار يوحنا مارون في كفرحي ـ البترون، إلى مدرسة الحكمة في بيروت.

ومن الحكمة بدأ ممارسة العمل الصحافي والتعليم. كتب في جريدة «الروضة»، ثمّ في جريدة «الحكمة» التي كانت تصدر في جبيل، واستمرت في الصدور حتى توقفت سنة ١٩١٤ بعد نشوب الحرب العالمية الأولى.

في التعليم، علّم أولاً في مدرسة الفرير ببيروت مدة سنتين ١٩٠٦ ـ ١٩٠٨، وعند الآباء اليسوعيين. ثم غادر بيروت إلى جبيل، فعلّم في مدرسة الفرير حوالى خمس سنوات، انتقل بعدها ليدير مدرسة الجامعة الوطنية في عاليه، فبقي ٣٥ سنة دون انقطاع، ولم يتركها إلّا بعد أن أجّرها صاحبها فأنشئت مدرسة جديدة دعيت «كلية عالية الجديدة» فدرّس فيها الأدب العربي مدة سنتين وشهرين، فانحرفت صحته وأشرف على الخامسة والسبعين فلزم بيته.

سنة ١٩٦٠ نال جائزة «أصدقاء الكتاب»، قدّمتها وزارة التربية باسم رئيس الجمهورية. وفي الثالث من حزيران ١٩٦٢ كانت وفاته.

ترك مارون عبود من الكتب المطبوعة ما يزيد على الخمسين، وبقي

الكثير من نتاجه مخطوطاً. وتناولت مؤلفاته موضوعات الأدب، والفنّ، والمسرح، والقصّة، والنقد الأدبي والاجتماعي والسياسي، والسيرة، والدراسة... من آثاره نذكر: الرؤوس، روّاد النهضة، صقر لبنان، وجوه وحكايات، أقزام جبابرة، أحاديث القرية، الأمير الأحمر، فارس آغا، مجدّدون ومجترّون، جدد وقدماء، من الجراب...

مارون عبود، كما عرّف به يوسف أسعد داغر: «هو أديب الطُّرَف وأديب المرح وأديب الضحك وأديب التجديد...».

في أدبه قالت الناقدة خالدة سعيد: «كلمة مارون عبود لاذعة ضاحكة ساخرة حادّة في وجه الجميع، من دون أن تترك هذه الكلمة جراحاً، لأنّها لم تكن كلمة تجنٍّ وحقد...».

وقال رياض حنين في مدخل كتابه «مارون عبود لطائف وطرائف»: .. كان لنا من طرف لسانه، لطائف وطرائف، تنبض بخفّة الرّوح، وعذوبة الفكاهة، وحلاوة الدّعابة، وعفوية الملحة، وسرعة الخاطر، وحسن الجواب، واللعب في المعنى وفي اللفظ... وكم يصحّ فيه، قوله، في الصحافي سعيد فريحة، في معرض كلامه على «جعبة الصيّاد»:

لو وزّعنا ظرفه على عشرات من ثقلاء الأقلام لأنعشتها روحه!...».

كلمة لمارون عبّود في مارون عبّود

ضعْ محلّ هذه النقط النعت الذي تريده، فأنا قد حلفت أن لا أكتب مقدّمة لكتاب من كتبي. وأبيت أن استجدي المقدّمات ولو من أفلاطون وامتنعت عن أن أقدم شاعراً أو كاتباً إلى القارىء. وسواء عندي أكان قد خمل ذكره أم طار صيته حتى اختفى خلف الغيوم.

أعود فأقول لك هذه كلمة لا مقدّمة. إنّها كلمة أريد أن «أعترف» لك بها، فأطلعك في هذا الديوان على نزعاتي كلّها، بل على دخيلة نفسي، حتى على «الأسرار» المكتومة منها.

وبعد، فاعلم، يا عزيزي، رعاك الله وحفظني وحفظك، إنّ ديواني هذا ليس سلة مشمش «لأوجّهها»[1] لك. فلا أنا بائع ولا أنت شارٍ. لا يا أخي. إنّ هذا الديوان رسالة.. عفواً. هو فكرة عشت بها زمناً رغداً. وما زلت أحنّ إليها، وأنا على هواها. حالي معها كحال الرجل مع صاحبته، قد تتنكر له، وقد يجفوها، ولكنّهما في الحالين، حال الرّضا والغضب، واليسر والعسر، حبيبان ودودان، متيمّان، مولّهان.. ولولا ذلك لم يتشاكسا. أؤكـدّ على غضبي.. ولهذا ها أنا أضع بين يديك الكريمتين قصائدي، كما قلتها في وقتها. لم أحكك، ولم أنقّح إلاّ في قصائد معلومات، وأنت لا شك، تعرفهنّ بلا عناء.. إنّ سيماءهنّ في وجوههنّ.

فبعض القصائد التي ترى، لك أن تسميّها خُطَباً ـ إذا شئت ـ استخدمت لتؤدّي فكرة ثائرة كانت تتّقد في نفسي ولمّا تزل. ففيها الشعر وفيها النثر، وأنا

(١) وجّه السلة بالمعنى العامي: وضع الثمار الطيبة الحلوة الكبيرة على وجه السلة لتغري الشاري، وفي القعر ما صغر وقلت قيمته منها.

أعرف منها ما ستعرف أنت، ولكنها في كل حال تقضي لبانة من تعرّضَ وصله.

فإليك، إذن، مارون الشاعر في كلّ أطواره، بعجره وبجره، كما كانوا يعبّرون، فارتع، آجرك الله، وأجزل ثوابك، في هذه الجنّة الغنّاء. ولك أن تقول فيها، بعدئذٍ، ما شئت.

هذا هو مارون عبود الشاعر، أما مارون عبود الناثر فهو رجل غير هذا. أفهم يا صاحبي، إنّ الناقد يعرف الذهب ويميّزه، وإن عجز عن خلقه. فإن رأيت عند هذا المارون ما لا ينطبق على آرائه في الشعر، حين ينتقد غيره، فكن متأكّداً أنّ مارون الناقد لن يرحم مارون الشاعر، فوالله، وبالله، وتالله، لأؤدبنّه أدباً صارماً. ولأحملنّ عليه، كما حملتُ على غيره، حملات غواشم. فهو يدّعي أنّه يؤدي رسالة منظومة لينجو من يدي، فلسوف أُرينّه حين يقع ديوانه بين يدي، إنّ هذا الإدعاء لا يعصمه ولا ينجيه. سترى أنّني سأري ذلك المارون الوقح كيف يكون النقد المرّ. وإن يغضب فلا رحمه الله، ولتهتزّ عظامه في قبره. فكم أغضبت غيره من قبل. أما قيل: بالكيل الذي تكيلون يكال لكم وأزود؟

انتظر يا قارئي، إنّها ساعة لها ما بعدها في تاريخ النقد.

انتظر، انتظر، فما أقرب اليوم من غدا!*.

---

* الحكمة، السنة العاشرة، العدد ٦، حزيران ١٩٦٢، ص ٦٤.

كرش القائم مقام

حكى فؤاد افرام البستاني هذه الطرفة عن مارون عبود، قال:

كنّا فريقاً من الأدباء، في إحدى السنين، نحتفل بذكرى جبران خليل جبران، في مسقط رأسه في بشرّي، ومعنا مارون عبود. وكان أهالي بشرّي ينتظرون بين يوم وآخر، مجيء القائم مقام الجديد، لتسلّم مهامّ منصبه.

فعندما رأوا مارون عبود واقفاً بكامل ثيابه، في فسحة السراي بكرشه البارز، وطربوشه الأحمر، وحاجبيه الكثيفين، وعصاه السوداء المقمّعة بالفضّة، ظنّه الناس أنّه القائم مقام. فتقدّم منه رجل، وانحنى باحترام، بعدما زرّر جاكيتته، وقال له:

ـ سعادتك القايمقام؟

فابتسم مارون عبود، وأجابه وهو يربّت على بطنه المنتفخ:

ـ لأ، يا بني، كرشي من كيسي مش على حساب الدولة!*.

* مارون عبود لطائف وطرائف ص ٢٧ ـ ٢٨.

قلبهم على البغال

في أحد الأيام، شاء فؤاد مخلوف استاذ الأدب الفرنسي سابقاً في الجامعة الوطنية في عالية، أن يدخل إلى مكتب مدير الجامعة مارون عبود، ليراجعه بقضية خاصة، فوجد أنّه يستقبل تلميذاً. وطال حديث مارون عبود مع التلميذ، وطال انتظار فؤاد الذي راح يتذمّر. ولاحظ عليه مارون عبود ذلك، لما حانت مقابلته، فبادره قائلاً:

ـ طوّل بالك، أنا على طريقة قادة الجيش العثماني: ألف جندي يموت، ولا يموت بغل واحد*.

* مارون عبود لطائف وطرائف ص ٣٤.

كلام

التقى شاب، بعد مغادرته الجامعة الوطنية في عالية بسنين، أستاذه مارون عبود، في أحد شوارع بيروت، وكان قد شقّ طريقه في معترك الحياة. فهرع إليه يحيّيه بحرارة، وهو محني الرأس احتراماً. ثم ردّد له هذا البيت من شعر أحمد شوقي، ظنّاً منه أنه يدخل الفرح إلى قلبه:

قُمْ للمعلّمِ وفِّه التّبجيلا
كادَ المعلّمُ أنْ يكونَ رسولا

فهزّ مارون عبّود برأسه ورفع كتفيه، وقال بابتسامة هزء:

ـ هه... الكلام معسول، بس أيش طلعلو الرّسول؟!*.

* مارون عبود لطائف وطرائف ص ٣٦ ـ ٣٧.

ريحة دولارات

ألقى مرةً سياسي لبناني محاضرة على تلاميذ الجامعة الوطنية في عالية، تحدّث فيها بطبل وزمر، عن مشاهداته وانطباعاته في الولايات المتحدة الأميركية.

ولمّا قال أحد الأساتذة إلى مارون عبود:
- في بعض تلاميذ، وأنا منهم، شمّو ريحة دولارات من المحاضرة:

فأجابه مارون عبود:
- وأيش؟ أنا مزكّم؟!*.

* مارون عبود لطائف وطرائف ص ٣٧.

«الجورة»

كان أمين الريحاني يشكو من داء العصبي في إحدى يديه، فأشير إليه أن يركب دراجة، على سبيل التمرين.

وفي صيف ١٩٤٠، وبينا هو فوق درّاجته، سقط في حفرة إلى جانب الطريق، في طرف ضيعته الفريكة. ونقل إلى مستشفى ربيز في بيروت، ولم يلبث بعد بضعة أيام أن توفي.

وفي أثناء وجوده في المستشفى، عادهُ مارون عبود، وظنّ أنّ حادثة أمين ليست خطيرة. فقال له مداعباً:

ـ أتركب في الستين، يا أمين، كما كنت في العشرين والثلاثين؟

فابتسم أمين، وقال:

ـ ما كلّ الوقعات بتكون في «الجورة»!

فقال له مارون:

ـ كلّ البلا فيها ومنها، يا أمين!*.

---

* مارون عبود لطائف وطرائف ص ٤١.

مسيّه بربارة

تعرف مارون عبود، في اليوم التالي لعيد القديسة بربارة، إلى رجل دميم الوجه، ذكرّه بوجه حبيب قلبه الجاحظ، فبادره متسائلاً:

ـ مبارح عيّدنا البربارة، ليش بعدك أنت لابس هالوجه؟*.

زنبور لا نحلة

رأى رجل مارون عبود يعتني بأزهاره، في حديقة منزله، في عين كفاع، فقال له:

ـ يا ضيعان التعب. لو اعتنيت بغرسة تطعمك، ما كان أفضل لك؟

فقال له مارون عبود:

ـ أريد أن تأكل عيني، مثلما يأكل بطني.

فقال الرجل:

ـ أيش، عينك نحلة؟

فقال مارون عبود:

ـ لأ، عيني زنبور**.

---

* مارون عبود لطائف وطرائف ص ٤٥. يحتفل بعيد القديسة بربارة في الرابع من كانون الأول وفيه يحتفل الأولاد ويضعون الأقنعة المختلفة على وجوههم.

** مارون عبود لطائف وطرائف ص ٨٣ ـ ٨٤.

صارت لبطته تهدّ الحيط

في إحدى رسائله إلى عبد الله المشنوق، على أثر تعرض منزله في عين كفاع لسقوط صاعقة أحدثت أضراراً كبيرة فيه، قال مارون عبود:

عندما مرض محمد (ابن مارون عبود) بداء (هزّة الحيط) ويئس الطبّ منه استعملت مع النبيّ الكريم فظاظة الأعراب وقلت له:

لا تستطيع أن تحمي واحداً، من خمسمائة مليون، سمّيناه باسمك تبرّكاً وتيمّناً!! فكأنّه، صلّى الله عليه وسلّم، استجاب دعائي واكترث لقضيّة سَميِّهِ الدقيقة، فشفي. ومن بعد ـ هزّة الحيط ـ صارت لبطته تهدّ الحيط. ومن لا يصدّق فالتجربة أصدق برهان»...*.

* رسائل مارون عبود ص ١٨.


الشيخ يوسف الخازن
(١٨٧١ - ١٩٤٤)

عرفت الأسرة الخازنية بالنكتة، فأفرادها يطلقونها بعفوية وبساطة ومحبة، ما يجعلها تدخل الأذن والقلب دون أثر لجرح في نفس سامعها أو ضغينة. والشيخ يوسف الخازن أحد أسياد النكتة في هذه الأسرة.

ولد سنة ١٨٧١ في قرية سهيلة في كسروان. درس في عينطورا، والحكمة في بيروت، ثم في الجامعة الأميركية.

غادر لبنان إلى مصر، حيث مارس الصحافة، فأنشأ جريدة «الأخبار» مع داود بركات، ومجلة «الخزانة» ثم جريدة «بريد الأحد».

في سنة ١٩١٦ سافر إلى فرنسا، وفي باريس حرّر في جريدة «الطان».

عاد إلى لبنان، فعيّن عضواً في اللجنة الإدارية للبنان الكبير سنة ١٩٢٠. ثم انتخب نائباً في المجلس النيابي ثلاث مرّات: ١٩٢٢ و ١٩٢٥ و ١٩٢٩.

عاد إلى ممارسة الصحافة فأصدر سنة ١٩٢١ جريدة «الأرز» التي أسسها الشهيدان الخازنيان فيليب وفريد. ثم أصدر مع موسى نمّور جريدة البلاد سنة ١٩٣٤.

اشتهر بثقافته العالية وإتقانه العربية والفرنسية، وبخفة روحه، وموهبته في إطلاق النكتة. قال عنه كرم ملحم كرم:

«كان الشيخ يوسف الخازن أنيس المحضر، رضيّ الخلق، سمح الخاطر، عفيف الضمير.. وكان في الظرف ما يفيض مسرّة ولا تخجل به العذراء».

ما تركبش حمار؟

بينما كان الشيخ يوسف الخازن يسير في ضواحي القاهرة، برفقة أحد أصدقائه، مرّت بهما سيّدة إنكليزية حسناء، ممتطية صهوة حصان. فقال رفيق الشيخ:

ـ ليتني حصان!

فقال الشيخ يوسف:

ـ تكلّف ربّنا عجيبه ليه؟ اسألها ما تركبش حمار؟*

* نكات خازنية ١، ص٨٦ ـ ٨٧.

على شان ما إنشرش خطابك

يوم احتفل المطران يوسف دريان بتدشين دار النيابة البطريركية المارونية في القاهرة، وهي هبة من الكونت خليل صعب، دعا سيادته وجوه الطائفة إلى مائدة تصدّرها هو من جهة، والواهب من جهة أخرى. فوقف إلى المائدة أحد الخطباء، وألقى كلمة يثني فيها على الواهب والهبة، وعلى النائب البطريركي، بما يوافق المقام. والظاهر أنّ الشيخ يوسف الخازن لم يستسغ ذلك الخطاب فنهض على الأثر من مكانه وقصد الخطيب، قائلاً له:

ـ حبيب بك.. حبيب بك أديني خمسي جنيه!

فبادر حبيب بك، ومدّ يده إلى جيبه ليتناول منها خمسة جنيهات، قائلاً للشيخ يوسف:

ـ على شان إيه شيخ يوسف؟

فأجابه:

ـ على شان ما إنشرش خطابك بكرا في «الأخبار»*.

* نكات خازنية ١، ص ٨٨ ـ ٨٩.

شرّ «المقطم»

التقى ذات صباح، الدكتور يعقوب صرّوف أحد صاحبي جريدة «المقطّم» زميله الشيخ يوسف الخازن، وهو يسير في أحد شوارع القاهرة، متأبطاً رزمة من الصحف، فبادره الدكتور صروف قائلاً:

- أي شرّ تتأبط، هذا الصباح، يا شيخ يوسف؟

أجابه الشيخ يوسف ضاحكاً:

- إنّي أتأبّط أعداداً من «المقطم»!*.

* نكات خازنية ١، ص ٨٩.

بلا تهذيب مثل نابوليون

استقبل الجنرال سرايل المعروف بعدائه لرجال الاكليروس ولكلّ من يلوذ بهم، الشيخ يوسف الخازن وجورج زوين معاً. ولمّا كان الجنرال سرايل صريحاً على وقاحة صارخة، دعا جورج زوين للجلوس إلى جانبه، وقال للشيخ يوسف الخازن:

ـ أنت لا تقترب منيّ، فرائحتك خوارنة، وأنصحك بألّا تزورني بعد اليوم.

فأجابه الشيخ يوسف:

ـ كنت أودّ أن أقول عنك ما قاله تاليران عن نابوليون، ولكن سأحجم لسبب بسيط جداً، وهو أنك لست نابوليون، لا من بعيد ولا من قريب*.

* نكات خازنية ١، ص ٩١.

استيراد لا تصدير

قصد ذات يوم أحد القسيسين الشيخ يوسف الخازن، طالباً منه أن يتوسط له لدى الرئيس العام لرهبانيته، حتى يعدل عن إرساله إلى قبرص، لأنه يؤثر البقاء في لبنان، بحجّة أن مناخه أفضل لصحّته من مناخ الجزيرة.

ووعده الشيخ يوسف خيراً، وهو يقول:

ـ اطمأن بالاً، سأقنع قدس الآباتي بالرجوع عن «خطأ» قراره. فمن كان مثلك «ما بيبعتوه عاقبرص، بيجيبوه منا»*.

صغّر لبنان وكبّر الصحن

دخل الشيخ يوسف الخازن مطعماً في بيروت، اسمه «مطعم لبنان الكبير». فجيء إليه بصحن فيه قليل من الطبيخ. فنادى الشيخ صاحب المطعم، وقال له:

ـ يا خواجا، زغّر لبنان الكبير وكبّر لنا الصحن تنشبع**.

* نكات خازنية ١، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

** نكات خازنية ١، ص ١٠٧.

عتب

قدّم النائب شبل دمّوس في المجلس اقتراحاً. فاعترض زميله النائب اميل ثابت الثري الشهير، قائلاً للرئاسة:

ـ يا حضرة الرئيس شبل سرق لي أفكاري. هذا الاقتراح هو اقتراحي.

فوقف الشيخ يوسف معاتباً شبل دمّوس، بقوله:
ـ شو راح يطلعلك تاتمدّ إيدك عا مخّو، مدّا عا جيبتو!*.

---

* نكات خازنية ١، ص ١٠٨.

المدير المسؤول

عندما أعاد الشيخ يوسف الخازن إصدار جريدة «الأرز» لمؤسسيها الشيخين الشقيقين فيليب وفريد الخازن، وضع إلى جانب اسم الجريدة في الصفحة الأولى، اسم الشيخ فريد نايف الخازن مديراً مسؤولاً الذي لم يكن له أية علاقة لا من قريب ولا من بعيد بالصحافة، فسئل:

ـ شو عامل. . وين اسمك، ولايش اسم الشيخ فريد؟

أجاب:

ـ أنا للمقال. . وهو للاعتقال!*.

* نكات خازنية ٢، ص ٣٦.

مار بطرس مقصّر

بعدما عادت ناهية زوجة الشيخ فريد الخازن من رحلة إلى إيطاليا، التقت الشيخ يوسف الخازن في أحد المنازل، فراحت تروي له ما شاهدته من عظمة كنيسة مار بطرس في الفاتيكان، ثم قالت:

ـ وصرت أمشي.. وأمشي بالكنيسي.. إلها أوّل وما إلها آخر، وأنا مدهوشي بالمذابح والتماثيل والتصاوير، ووقفت قدّام تمثال مار بطرس، وصلّيت...

فابتسم الشيخ يوسف، وقال لناهية، وهي على جانب كبير من الجمال:

ـ يا حيف عا ما بطرس.. كان لازم هو يلحقك مش أنت تروحي لعندو!*.

* نكات خازنية ٢، ص ٥٠ ـ ٥١.

نكتة الوداع

توفّي الشيخ يوسف الخازن، في مدينة روما، حيث نفى نفسه إليها في الحرب العالمية الثانية. وعلى سرير مرضه الأخير، جيء له بطبيب إيطالي الأصل، لبناني المولد والنشأة، يدعى ماريني.

وقرّر الطبيب فحص دم الشيخ يوسف، ليصف له الدواء المناسب على ضوء نتيجة المختبر. فالتفت إليه الشيخ يوسف، وقال وهو يحشرج:

ـ بشرفك. . بشرفك، بدّك تشيل منيّ دم تتفحصو أو تتوزنو؟

(ولم يمرّ قليل وقت حتى فارق الشيخ يوسف الحياة، وكانت النكتة الأخيرة التي أطلقها مودّعاً)*.

* نكات خازنية ٢، ص٦٣.



الشيخ فريد الخازن

(١٨٩٤-١٩٤٨)

الشيخ فريد الخازن سيّد آخر من سادة الظرف والفكاهة، الذين أنبتتهم الدوحة الخازنية. ولد في غوسطا سنة ١٨٩٤. تلقى دروسه في عينطورا.

عرف بتواضعه، وعزة نفسه، وحدبه على الفقراء، واندفاعه لتحقيق مطالب المواطنين. انتخب نائباً في الدورات ١٩٣٤ و١٩٣٧ و١٩٤٧. والدورة الأخيرة لم يكمل مدّتها بسبب وفاته في شهر آب ١٩٤٨. وكان له مأتم حاشد. ووفاء له أقامت له الدولة تمثالاً في مسقط رأسه غوسطا سنة ١٩٥٠، كما أقامت له بلدية جونية تمثالاً نصفياً في حديقة السراي القديمة.

يعتبر الشيخ فريد أحد مؤسسي الكتلة الدستورية التي ترأسها الرئيس بشارة الخوري. وكان سابقاً من مؤيدي الملك فيصل، ابن الشريف حسين، وبفضل هذا التأييد تمكّن من تأمين القمح لكسروان، في خلال سنوات الحرب العالمية الأولى، التي حملت إلى لبنان المصائب والجراد والجوع.

وصفه الياس أبو شبكة بقوله:

«هيكل من هياكل العمالقة ليس من الناس في كسروان إلاّ من يلحظه إعجاباً، وبعضهم يلحظه حبّاً، فهو زعيم للطبقة الوسطى تستنّ بسننه ويلوي الطرب أعناقها لدى ذكره..

نطقه الاخلاص بفاضل ذيله وحفزه، خلق أبيّ، فهو ينزل نفسه على إقالة الضعيف عثرته في كلّ حين ولو كان حزباً عليه..».

يتبادلون الأدوار

عرف عن الشيخ فريد الخازن أنه كان شيخ شباب وزعيماً شعبياً، محاطاً دوماً بالقبضايات. في حين عرف عن الشيخ يوسف الخازن أنه كان كاتباً ظريفاً وخطيباً قديراً.

وكان الشيخ فريد في بادىء الأمر نصيراً للشيخ يوسف في الانتخابات، ثم انقلب عليه بعد تدخل حبيب باشا السعد خصم الشيخ يوسف التقليدي.

وغضب الشيخ يوسف مرّة على تصرُّف الشيخ فريد ضدّ أحد أنصاره، فقال بلهجته المصرية على مسامع بعضهم:

ـ دي فريد يجب أن أصفعه كفّين ثلاثا عاشان يتهذّب!

ونقل هذا الكلام إلى الشيخ فريد، فأرسل من يقول للشيخ يوسف:

ـ دي يوسف يجب أن أكتب مقالين ثلاثا ضدّه عاشان ما يهدّدش!*.

* نكات خازنية ٢، ص ٨١ ـ ٨٢.

جنون

وقعت سيدة تدعى جوليا صيداً جميلاً بين الشاعرين علي الحاج وأسعد السبعلي. فقال لها الأوّل:

عجينك بالمحبّة صار طالع
وفيكي الحجّ عمينظم مطالع
شفت الليل من نصك ونازل
وشفت البدر من نصّك وطالع

وقال السبعلي:

عندي بالهوى والحب طالع
وأوصف نور وجهك بدر طالع
أنا يا عامرية قيس ثاني
وبدّي جنّ من هلّق وطالع

عبـــد

قال الشاعر أسعد السبعلي لسيدة حلوة قررت مغادرة لبنان إلى أفريقيا:

يـا ست عبـد الحب قـلبي شـي أكيـد

نهـارو ضنى والليـل جـرحـات ونهيـد

إن رحتي عـلى افـريقيـا رح بسبقـك

تـا يـزيـد واحـد رقم مجمـوع العبيـد

سرّت الحسناء بهذه الردّة، وقالت له بغنج: بدّي ردّة ثانية قبل ما سافر.

فاستجاب السبعلي لها وقال:

الـله كـوّنـلك هـالـقـدّ

وصـار يـتمـشى مـقـابيـلك

كيف صبّـك حلوي هـالقـدّ

بيـظهـر كـان مستفـضيـلك

يا طبيب طبّب نفسك

زارت زوجة أحد الخازنيين في صباح باكر وممطر، الشيخ فريد الخازن في منزله بجونيه، وهي حاملة شمسية، وأخذت تشكو له زوجها الذي يلعب بالقمار ويلاحق النساء. ثم طلبت إليه أن يحاول ردعه عن هاتين الآفتين قبل أن يخرب بيته. فوعدها الشيخ فريد خيراً.

وكانت ناهية زوجة الشيخ فريد، في أثناء ذلك تسترق الاستماع إلى الحديث الدائر. فما أن غادرت المرأة المنزل، حتى حملت شمسية وأسرعت إلى غرفة الشيخ فريد قائلة:

ـ أنا كمان جوزي بيلعب قمار وبيلحق نسوان. حكيلي معو. . .

فتطلع الشيخ فريد إلى زوجته، وقال لها:

ـ طمّني بالك. . . وهيدا راح أحكيه!*.

* نكات خازنية ٢، ص ٨٩.

مسدس بيد هنري فرعون

قامت في سنة ١٩٣٧، زمن الانتداب الفرنسي، وفي عهد المفوض السامي الكونت شارل دي مارتل، ثورة بيضاء، من قبل الكتلة الدستورية ضد رئيس الجمهورية اميل إده، واتخذت مقراً لها الباروك. وشوهد هنري فرعون، وسليم تقلا، وميشال زكور أبعد الناس عن السلاح، يحملون السلاح في هذه الثورة. وما أن رأى الشيخ فريد الخازن، المسدس في يد هنري فرعون، حتى خاطبه بقوله:

ـ الأفضل، يا هنري بيك، تحمل وراق الميت ليرا، بدل هالفرد لأنّا بتصيب أكثر!*.

* نكات خازنية ١، ص ١٤٧.

الصحافيون والطبل!

ضمّ مجلس نواب ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩، عدداً من الصحافيين المنتخبين والمعينين، هم: خليل أبو جودة، اسكندر البستاني، ابراهيم المنذر، موسى نمور، خير الدين الأحدب، محيي الدين النصولي، جبران التويني، خليل كسيب وغبريال خباز.

وكان الشيخ فريد الخازن يتوقع من النواب الصحافيين أن لا يدعوا سواهم من النواب يتكلمون، لبراعتهم في الحكي وبلاغتهم في الخطابة وصيتهم في الكتابة، إلاّ أن ظنه خاب، إذ كانوا خلال الجلسات في صمت مطبق، بينما كان النواب من غير الصحافيين يصولون ويجولون من على منبر المجلس، مما حمله على القول:

ـ زملاؤنا النواب الصحافيون، ادامهم الله، أعطوا شهادة في المجلس، على صدق المثل العامي: «الطبل الفارغ بودي صوتو لبعيد!»*.

* نكات خازنية ١، ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

بكاء حبيب أبو شهلا على فلسطين

في إحدى جلسات المجلس النيابي، وكان البحث يدور حول القضية الفلسطينية، تكلم حبيب أبو شهلا، فاسهب كثيراً، ذارفاً الدموع السخية، على ضياع البلد الشقيق، مما حمل الشيخ فريد الخازن، أن يقف ويقول له علناً:

ـ والو. . . خلّيلنا، يا حبيب دور، واترك لغيرك الوقت تايبكي عا فلسطين!*.

* نكات خازنية ١، ص١٥٢.

زيح حتى نبكي

توفى الشيخ صليبي الخازن، وحان موعد نقل جثمانه من المنزل إلى الكنيسة للصلاة لراحة نفسه، فارتمى فوقه، وكيل املاكه، يبكيه نادباً، وبقي هكذا وقتاً طويلاً، مما حال دون اقتراب ذويه ليقوموا نحوه بواجب الوداع الأخير. الأمر الذي جعل الشيخ فريد الخازن يتقدّم منه قائلاً بصوت عالٍ:

ـ بالاذن منك، زيح عا جنب نتفي، حتى نبكي نحنا ابين عمنا!*.

* نكات خازنية ١، ص ١٥٣.

حق كِمْ جاكيت!

رنّ جرس منزل الشيخ فريد الخازن، في جونيه، قبل طلوع الفجر، فاستيقظ الجميع، على الرنين المتواصل. وفتحت الخادمة الباب، فإذا برجل يطلب مقابلة الشيخ لأمر ضروري.

وما أن رأى الشيخ فريد، الرجل، حتى بادره قائلاً: من دون أن يردّ له تحية الصباح:

- خير إن شاء الله؟

فأجابه:

- قاصدك على حق جاكيت.

فقال الشيخ فريد:

- ما كنت بتقدر تنطر تا توعا الشمس ونوعا معاً؟

فقال الرجل:

- أنت يا شيخنا، كسّاب وهّاب. خفت من المحبين الكثار يسبقوني وينفضوك وما يفضلي شي.

فناوله الشيخ فريد من جيب بنطلونه، ورقة مالية من الفئة الصغيرة، قائلاً:

- قصاص إلك عا غدويتك، خود هيدي حق كِمْ بس. وروح فتش عا غيري يعطيك حق الكِمّ الثاني وباقي الجاكيت!*.

---

* نكات خازنية ١، ص ١٥٣ - ١٥٤.


سعيد فريحة
(١٩٠٥ - ١٩٧٨)

ولد سعيد فريحة سنة ١٩٠٥ في رأس الحرف من قضاء المتن. تلقى دروسه في مدرستها. ومن رأس الحرف انتقل إلى حلب، حيث عمل، كما يقال، مزيّناً في الوقت الذي كان يراسل فيه بعض الصحف والمجلّات.

ثم عاد إلى لبنان، لينشيء سنة ١٩٤٣ مجلة الصيّاد، التي رأت النور مع الاستقلال. وفي سنة ١٩٥٦ أتبعها بمجلة الشبكة، فجريدة الأنوار سنة ١٩٥٩. وبعد ذلك توالى إصدار الدوريّات من دار الصيّاد: سمر، الدفاع العربي...

ناضل سعيد فريحة في سبيل وطنه والصحافة، فنال أوسمة عدة رفيعة من لبنان ومصر والأردن وفرنسا... وكانت وفاته في سنة ١٩٧٨. تاركاً من آثاره «جعبة الصياد» و«الجعبة الأخيرة».

كان جيلاً من خفّة الدم والسخرية، كما يقول يوسف أسعد داغر، كان في الصحافة مدرسة، كما كان فيها تاريخاً..

قال عنه الرئيس تقي الدين الصلح:

«كانت مواهبه كأديب وككاتب، كفنّان وإنسان، تجمّل موكب الجهاد والمجاهدين وتحوّل مشقّات العمل الوطني، وحتى تعثّراته، إلى ربيع دائم من ثمار الفكر والذكاء والظرف والتفاؤل...».

سيارة تنهار تحت ثقل انسان

كنت صباح الأربعاء الماضي على موعد مع الأخ الزميل محمد مجذوب برحلة صحفية إلى دمشق.

وأنا، كما يلاحظ قراء هذا الباب، أجد متعة في رفقة محمد مجذوب لأنّه شهم وظريف ورشيق عند الاقتضاء رغم حجمه الهائل!

وانطلقت مع الأخ محمد في سيارة مرسيدس ٣٠٠ طراز ٧٤، وكنت أجلس في جوار السائق كميل، ومحمد يجلس في صدر السيارة كلّه ما شاء الله.

وعند وصولنا إلى ضهر البيدر حدث شيء غريب جداً هو الأول من نوعه في تاريخ السيارات.

لقد انهار الجزء الخلفي من السيارة تحت ثقل محمد مجذوب والتصق بالأرض التصاقاً تاماً.

وكدت لا أصدّق ما حدث. كيف تنهار سيارة تحت ثقل انسان مهما يكن وزنه؟ أنا أفهم أن تنهار كرسي أو كنبة أو سرير عريض أو أي شيء مصنوع من الخشب، ولكن أن تنهار سيارة مصنوعة من الحديد والفولاذ والمعادن الصّلبة، فهذا فوق مستوى فهمي المتواضع!

وانتقلنا بعد ذلك إلى شتورة، ومنها إلى دمشق في سيارة نجلي عصام، وهي فرنسية وماركة «ستروين» وجديرة بهذا الاعلان المجاني لأنّها استطاعت أن تحمل محمد مجذوب عبر الجبال والوديان وتظل سليمة... *.

* الجعبة الأخيرة، ص ١١٠.

الثالثة من أين؟

. . . وحدث مؤخّراً وبعد انفجار الغلاء أن استدعيتُ من يفحص لي دمي، فجاء وأخذ عيّنة من ذراعي اليسرى، ثم أخذ عيّنة ثانية من ذراعي اليمنى.

وقلتُ له وأنا مرخي الذراعين:

ـ والثالثة، من أين؟

قال:

ـ لا لزوم.

قلت:

ـ الحمد لله، وكم تريد؟

فقال بجدّ:

ـ ٢٨٠ ليرة.

قلت:

ـ إليك ٣٠٠ ليرة، ولكن أحب أن أسألك: إذا أراد مريض غيري لا يملك مؤسسة صحفية أن يفحص دمه، فمن أين يأتي بهذا المبلغ؟

قال:

ـ بسيطة، يستغني عن الفحص!

قلت:

ـ وعن العلاج طبعاً، بل وعن الحياة. . . فكان الله في عون شعب لبنان من بعض أطبائه، وهم لحسن الحظّ قلّة لا يطالها قانون ولا يردعها ضمير. . . *.

* الجعبة الأخيرة، ص ١٤٣.

إمعان في التصديق

... وفجأة أطلّت على الصالة صبية حسناء رشيقة القوام مرحة الأعطاف حلوة اللفتات، فاستقبلها الشبّان بالأهازيج وبأغنية:

طلّوا حبابنا طلّوا
نسّم يا هوا بلادي

وأبت الصبية الحسناء إلّا أن تردّ التحية بأحسن منها، فخلعت معطفها وهات يا رقص شرقي لو رأته تحية كاريوكا لبايعتها الخلافة.

وبعد الرقص جاءت تجلس في جواري وتقول إنّها لا تزال طالبة جامعية تمارس الرقص كما تمارس الشرب والتدخين في المناسبات.

قالت هذا وقدّمت لي السيجارة التي كانت تدخّنها مقترنة بكلمة: تفضل... خذ سحبة.

قلت:
ـ شكراً، لقد تركت التدخين.
فابتسمت وقالت:
ـ هيدا مش تدخين، هيدا شي ثاني، وإذا كنت لا تصدّق فتفضّل خذ سحبة وصدّق.

وصدّقتُ...

وبعد لحظات وجدتُ نفسي في جوار فتاتين لا فتاة واحدة.

وصدّقت مرّة ثانية.

وكدت أقضي بقية الليل وأنا أصدّق وأمعن في التصديق لو لم ألجأ إلى التسلّح بالإرادة التي هي وحدها حمتني في تلك الليلة من الاسترسال في التصديق. . .*.

* الجعبة الأخيرة، ص ١٥١ ـ ١٥٢.

بلا رذالة!

... عرفتها كما عرفها المجتمع اللبناني من أجمل وأذكى النساء وأكثرهن ظرفاً و«حشرية» عند اللزوم.

وقد شاءت أن تحشر نفسها في موضوع الساعة، فجاءت تقول لي: اكتب في حكاياتك إنّي مع السادات.

قلت:

ـ وهل أذكر الاسم؟

قالت:

ـ لا...

ـ لماذا؟

ـ لأني لا أزال انتظر النتائج لتكمل فرحتي.

ـ وماذا ستكون النتائج في تقديرك؟

ـ الصلح العادل والمشرف.

ـ وإذا جرت الرياح بما لا تشتهي السفن؟

ـ عندئذٍ يكفي القول إنّه باستثناء الحرب العالمية الثانية، وصعود الإنسان إلى القمر، ورحيل جمال عبد الناصر المفاجيء، وفضيحة ووترغيت، وزلزال سان فرنسيسكو أيام زمان، ونقل جبل الجليد في هذه الأيام من القطب الشمالي إلى البحر الأحمر، باستثناء كل هذا وغيره فإنّ زيارة الرئيس محمد أنور السادات لإسرائيل تظلّ هي الحدث الأكبر والأغرب الذي ملأ الدنيا وشغل الناس.

ـ ولا يزال، أليس كذلك؟

ـ طبعاً، وأتمنّى أن تنتهي هذه الصرعة على خير.
ـ خير من؟
ـ خير العرب جميعاً، وخير مصر وسورية بصورة خاصة.
ـ نسيتِ خيرنا نحن الاثنين.
ـ بلا رذالة... عم نحكي سياسة!*.

* الجعبة الأخيرة، ص ١٥٤ ـ ١٥٥.

مَن يعلّم مَن؟

... يحلو للزميل العزيز نبيل خوري صاحب مجلة «المستقبل» التي تصدر في باريس أن يقول بكل مناسبة وبلا مناسبة أحياناً، كلمة خير في كاتب هذه السطور.

وآخر ما قاله في مجلّته الناجحة إنّ العبد لله الذي هو أنا قد علّمه أشياء كثيرة في الصحافة وفي الحياة. وقد يكون هذا صحيحاً وقد يكون مبالغاً فيه، فالمهم إنّي لم أعلّم نبيل خوري الموهبة لأنّها لا تعلّم.

ولم أعلّمه الوفاء لأنّه هو أيضاً لا يعلّم.

بقي أن أتعلّم أنا من نبيل كيف استطاع أن يصدر مجلّة ناجحة في باريس؟*.

* الجعبة الأخيرة، ص ١٥٧.

جلوس على الكنبة

رحم الله الزعيم الخالد رياض الصلح. كان كلما اشتدت عليه هموم الحكم ومتاعب الزعامة في مطلع عهد الاستقلال، تلطّف وطلب مني أن أنجده بحفلة طرب في بيتي المتواضع.

وكان متواضعاً بالفعل، خصوصاً من ناحية الاتساع، إذ سرعان ما يضيق بالنخبة المختارة من أصدقاء رياض ومحبيه، فيضطرّ معظمهم إلى الجلوس على الأرض.

وأذكر أنّ الصديق عزت جعفر جاء مرّة من الكويت ليحضر حفلة تغنّي فيها الشحرورة صباح وترقص تحية كاريوكا، فأبى إلاّ أن يظلّ جالساً على الكنبة بين رياض الصلح ويوسف سالم.

وصاح أحد الوزراء المتربّعين فوق السجادة:

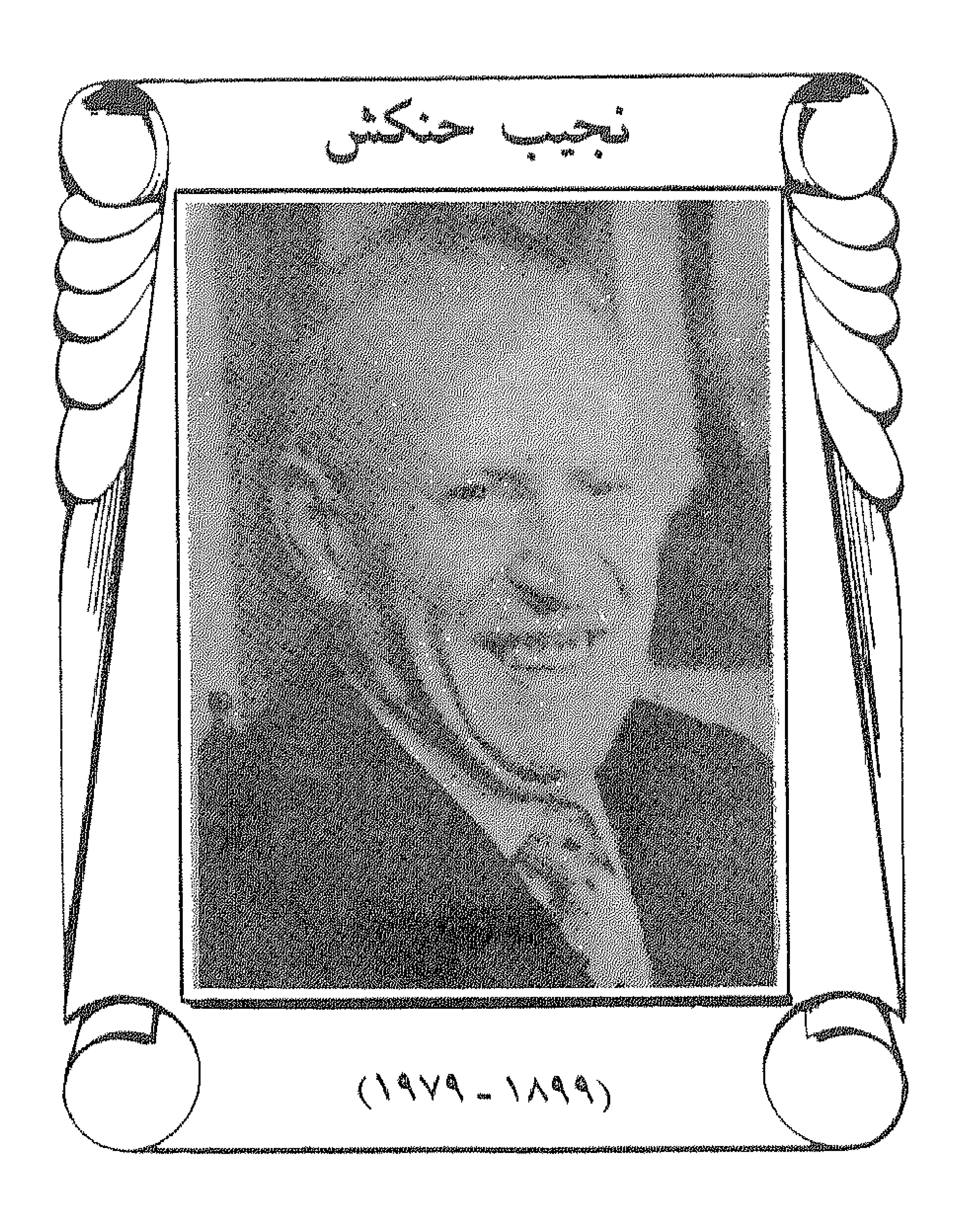
ـ يا أخ عزت، لماذا لا تجارينا وتجلس على الأرض؟

فأجابه:

ـ لأنه مضى عليّ أكثر من عشرين عاماً وأنا أجلس على الأرض دون أن تجاريني معاليك، فأرجو المعذرة... *.

---

* الجعبة الأخيرة، ص ١٥٨.


نجيب حنكش
(١٨٩٩ - ١٩٧٩)

هو ظريف لبنان، عرف بهذا اللقب، وبه سيبقى حيّاً في ذاكرة اللبنانيين والعرب، وكيف ينسى وقد لوّن أيامنا بألوان الفرح والضحك المحيي؟

ولد نجيب حنكش في زحلة سنة ١٨٩٩، على ما يعتقد، أي في نهاية القرن التاسع عشر.

غادر لبنان سنة ١٩٢٢ إلى البرازيل، حيث أمضى شطراً كبيراً من حياته، في كفاح مرّ ضدّ الفاقة والحرمان، حتى تمكّن من أن يرتاح، وكانت عدّته في كفاحه: الإيمان بالحياة وموهبة فنيّة وأدبية فطرية، رفدتها نعمة الصوت الجميل.

مارس الغناء، وكان لحن «أعطني الناي» أحلى ما أعطى. كما مارس الصحافة، فأصدر سنة ١٩٣٤ جريدة «لبنان»، وحمّلها الكثير من ظـرفه ونكاته.

عاد إلى لبنان، حيث استقرّ، فقدّم برامج تلفزيونية، إلى إسهامه في نشر أجواء الفرح في ربوعه، سواء من خلال لقاءاته أو من خلال ما ينشره في صحفه ومجلاته. وقد أصدر سلسلة من «الحنكشيات»، ضمّنها خواطره، وآراءه في السياسة والمجتمع، ونكاته وفكاهاته، وهي الفاكهة الطيّبة التي تركها نجيب حنكش، بعد أن توفّاه الله سنة ١٩٧٩، للوطن المعذّب.

شو بدك منو

كان أحد الباشاوات يمسح حذاءه في زحلة، وكان بالوقت نفسه يَعْلك.

فسأله ماسح الأحذية: «شو عَمْتِعْلك يو؟»

فاغتاظ الباشا، وقال: «وانت مالك تسألني إعلك إيه، خلّيك في عملك بالصُّرماية وبس. . . .».

وقبل انتهاء العمل عاد الولد يقول: «يا شيخ بتِعْلك، وبتِعْلك وما بتِبْلَعه؟!».

اغتاظ الباشا، ونادى صاحب المحل يشكو ماسح الأحذية على غلاظته. فما كان من صاحب المحل إلاّ أن وَبِّخ الولد قائلاً:

ـ وشو بدّك من الباشا، عَمْ يِعْلِك صرماية عتيقة، شو بَدّك فيه؟!*.

* النكتة اللبنانية تتمّة لحضارة حلوة، ص ٩٣.

بعدين الدفع

أصيب ابن أحد الزحليّين بالمرض، فراح الأب يتردّد على جميع الكنائس وينذر النذور. . . ولكن، لمّا كان عدد الكنائس كبيراً، خشيت امرأته شرّ هذا التبذير، وقالت له:

- يا رجال، حاج تكثّر النذورة منين بدك تدفع هالمال؟

- أجابها: خليه يصحّ الصّبي، وأنا بتفاهم مع الله!»*.

«انضم إلى الحلفاء»

أبو علي بيروتي بسطاويّ، كان يملك حماراً قبرصيّاً يشغله على «طنبر» في النقليّات المحلّيّة. وحدث أنّ الحلفاء أخذوا أيام الحرب الأخيرة يصادرون الحيوانات لإرسالها إلى الجبهة، فوقع اختيارهم على حمار أبي علي، وصادروه. وقد حاول صاحب الحمار عبثاً أن يقنعهم بإعادته إليه.

والتقى بعد يومين بصديق له، فسأله هذا الأخير:

وين الحمار يا أبو علي؟

أجاب: «يا خال. . . الحمار انضمّ للحلفاء!. . .»**.

---

* النكتة اللبنانية تتمّة لحضارة حلوة، ص ٩٤.

** النكتة اللبنانية تتمّة لحضارة حلوة، ص ٩٤ - ٩٥.

صيّاد كذاب

كان صيّاد يوهم امرأته دائماً أنّه أمهر صيّاد في بلده، وكان كلّما ذهب إلى الصيد، ابتاع ما تيسّر له من العصافير والحجال التي اصطادها سواه، ووضعها في «الجربندية» أي «الجُعبة»، وانطلق بها نحو البيت فرحاً.

وحدث أن ذهب صاحبنا يوماً إلى الصَّيد، ونسي بندقيّته في البيت. ومع ذلك فقد عاد بالصيد المعتاد، وحين دخل البيت سألته زوجته:

ـ عجيب! كيف ذهبت إلى الصيد، ونسيت البندقية هنا؟

أجاب: معك حق. . . كنت كل ما قوّصت ضرب، قول: «مدري شو ناقِصْني!»*.

* النكتة اللبنانية تتمّة لحضارة حلوة، ص ٩٥ - ٩٦.

حزازير؟!

أراد يوماً رجل مداعبة امرأته البسيطة الساذجة فسألها:

كيفك بالحزازير؟

فأجابت أنها تعرف بكل شيء.

إذاً، «شو اسم شي مدوَّر وأخضر، ومحيَّز من برّا، ومن جَوّا أحمر، وفيه بزر، وعندما يبتاعونه يقولون: شي بيحلّي وبيسلّي وبيعشّي الحمار، وأول حرف منه ب؟

فأجابت الامرأة على الحارك: بيروت يا روحي...

وكان الله بعون الزوج والبطيخ وبيروت*.

فضيلة الزواج

كان أحدهم يتحدث إلى ابنه الصغير عندما مرّ بهما حمار، فسأل الصّبي أباه:

قل لي يا بابا، الحمير بيتزوجوا؟

فأجاب الوالد:

يا تقبر بيك، في غير الحمير بيتزوجوا!!!**.

* النكتة اللبنانية تتمّة لحضارة حلوة، ص ٩٦.

** النكتة اللبنانية تتمّة لحضارة حلوة، ص ٩٧.

حرام تحطو بدمتك

سأل الأستاذ أحد التلاميذ قائلاً: «من خلق السماء والأرض؟» وكان صوت المعلِّم كالرعد القاصف. سمع التلميذ صوت الأستاذ المتهدِّج فخاف، وقال: «مش أنا يا معلمي».

وعاد المعلم للصّياح بقوله: «العمى بقلبك مش عارف مين خلق السّما والأرض؟».

وعاد التلميذ يبكي ويقول: «والله يا معلّمي مش أنا خلقتهم».

فغضب الأستاذ وترك المدرسة، وعاد إلى بيته كئيباً حزيناً، ولمّا سألته زوجته: «شو القصّة؟» قال: «سأترك التعليم، لأنّ التلاميذ حمير! تأمّلي يا ست، إني سألت تلميذاً سؤالاً بسيطاً للغاية. قلت له: من خلق السما والأرض؟ أجاب الحمار: مش أنا يا معلمي».

فأجابت السيدة «الذكيّة»:

« حرام عليك تحطو بدمّتك، بلكي مِشْ هو خَلَقهم»*.

---

* النكتة اللبنانية تتمّة لحضارة حلوة، ص٩٧ ـ ٩٨.

مسمار العين

سافر بائع زهور إلى بلد بعيد فكتب لزوجته رسالة قال فيها:

«يا زنبقة قلبي، يا زهرة حياتي، يا وردة أحلامي، يا فلّة عيني».

فسُرَّت الزوجة بالرسالة، وأخذت تتلوها أمام جارتها. فغارت الجارة، وقالت لزوجها، وهو نجّار:

ـ شوف جارنا كيف بيبْعَت لمرتو مكاتيب حلوة، ليش ما بتكتب لي هيك مكاتيب!؟

فقال: «وحياة عينك بَسّ سافر بكتبلك...».

وفعلاً بعد مدّة سافر النجّار، وبعث لزوجته رسالة قال فيها:

«يا شاكوشة رأسي... يا فارة جبيني.. يا لزقة غري... يا منشار رقبتي... يا مسمار عيني على طول حياتي...»*.

---

* النكتة اللبنانية تتمّة لحضارة حلوة، ص ٩٨ ـ ٩٩.

مداعبة

كانت الجدة تداعب حفيدها وتلاطفه، فأحبّ الطفل أن يبادلها بالمثْل، فقال:

ـ يا ستي شو رأيك، بتتزوجي، أو بتاكلي مهلبيّة؟

أجابته: «تقبر ستّك... منين إلي سنان للمهلبيّة؟...»*.

الفرسان الثلاثة

وضعت امرأة ثلاث بنات دفعة واحدة، وبعد قليل جاء جار للعائلة يُهَنِّيء بسلامة الأم. فقال لزوجها: «بماذا تُعلِّل هذا الخصب؟»

أجاب الزوج: «إني أُقدِّر أنَّ للوحام السبب الأكبر».

وحين سمع الجار هذا، سأل: «وكيف تم هذا الوحام وعلى أي شيء؟

قال الزَّوج: «إن امرأتي كانت تقرأ الرواية المشهورة: «الفرسان الثلاثة»، وأعتقد أن هذا هو السبب الوحيد».

«يا معتّر يا جريس على هالوقعة: مراتي تقرأ اليوم «علي بابا وأربعين حرامي»**.

---

* النكتة اللبنانية تتمة لحضارة حلوة، ص ٩٩.

** حنكشيات ص ٩٩.

بين المشنوق والمخنوق

جاء رجل من زحله، إلى بيروت، فالتقى برجل بيروتي، فسأله:

ـ دخلك، وين جريدة عبد الله المخنوق؟

فقال له البيروتي مُسْتَغْرِباً: ولو؟... اسمه عبد الله المشنوق، مش عبد الله المخنوق.

وردّ الزحلاوي على الفور: يا تقبرني، شو يعني؟ حسّنتلو حالتو؟!*.

لكن... ما زوجوه

كان أحد الكهنة يعظ في الكنيسة عن التضحية، ومما قاله:

«أنَّ السيد المسيح ضَحَّى بنفسه لأجلنا، فصلبوه، وكلّلوه بالشوك، وسقوه المر».

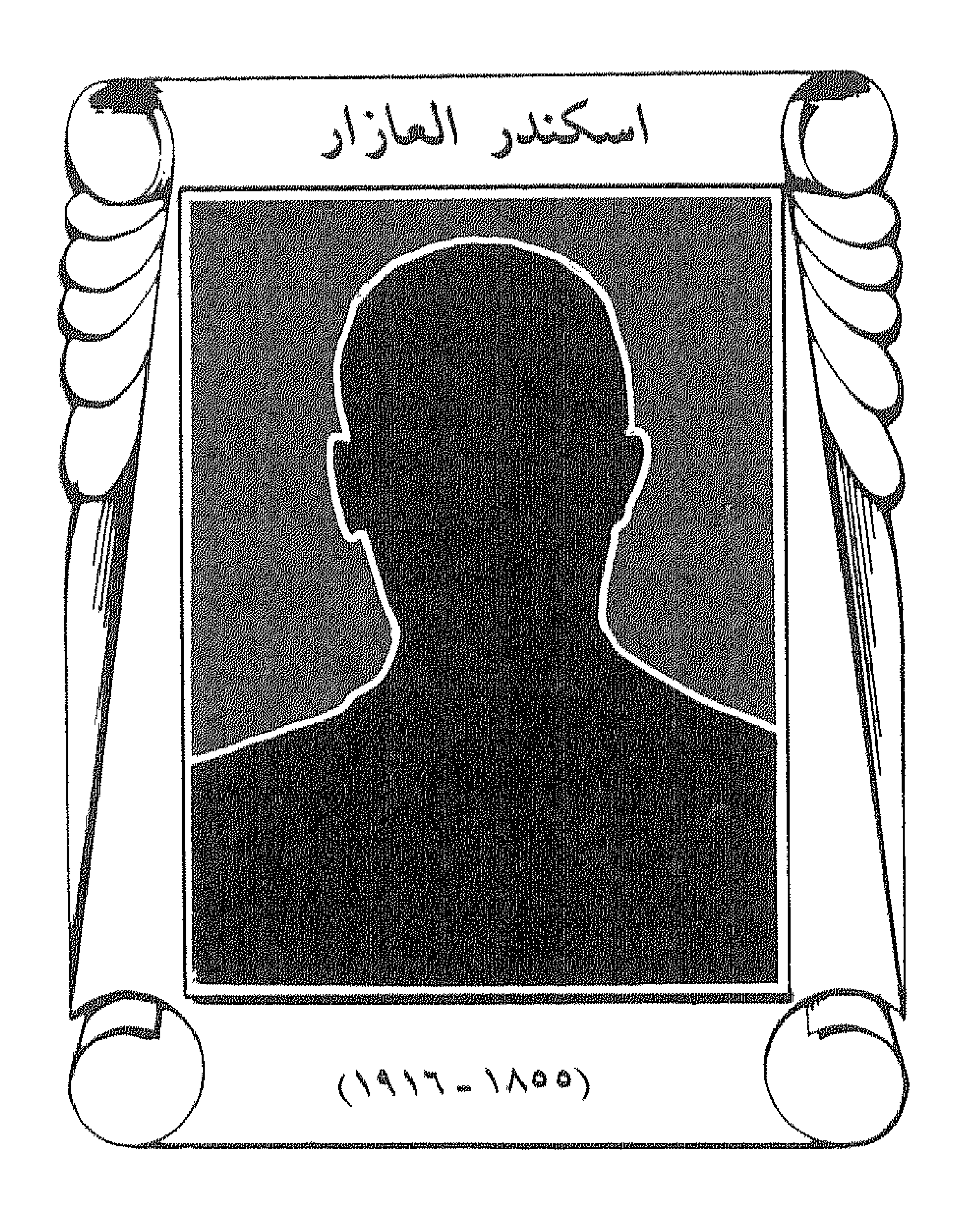
فاحتجَّ أحد الحضور، وكان معذباً في زواجه، قائلاً:

ـ نعم يا بونا إنّ المسيح صلبوه، وعذّبوه، وكلّلوه بالشوك، وسقوه المر، ولكن هل زَوّجوه؟**.

---

* حنكشيات ص ١٢٩.

** حنكشيات ص ١٣٧.


اسكندر العازار
(١٨٥٥ - ١٩١٦)

ولد في بيروت سنة ١٨٥٥. تلقّى علومه في مدارس بيروت وسوق الغرب وعبيه.

شغل وظائف رسمية وفي مجال العمل الخاص. وأرسلته الدولة العثمانية إلى باريس لمفاوضة وزارة المالية الفرنسية حول موضوع توحيد الدَّيْن الفرنسي، كما استدعته الحكومة الفرنسية ليحرر في جريدة عربية تصدر في باريس.

أولع بالأدب، فبرز فيه ناثراً وشاعراً ومؤلفاً مسرحياً. جمع حوله الأدباء في حلقة عرفت بحلقة الشيخ اسكندر العازار. جاء في «لبنان الشاعر» لصلاح لبكي في حديث عن الأخطل الصغير: «لم يكن شاعرنا الكبير بشارة الخوري، الذي نشرت له دار المعارف ديوان «الهوى والشباب»، إلاّ واحداً من حلقة الشيخ اسكندر العازار، يختلف إلى مجالسه فيصغي مع المصغين إلى نوادره الأدبية والشعرية...».

مارس الشيخ اسكندر الصحافة، فحرّر في صحف عدة منها «لسان الحال» و«الأحوال» و«البرق».. ولعب دوراً سياسياً عربياً، فحكم عليه بالنفي ثلاث مرات، ولم تنفذ فيه الأحكام. إلاّ أنه سجن سنة ١٩١٣ أياماً معدودة. وكانت وفاته في الرابع عشر من كانون الثاني سنة ١٩١٦.

اشتهر اسكندر العازار بحرية الرأي والجرأة، والظرف والدّعابة، وسرعة الخاطر.

من مؤلفاته: «من حواضر البيت» وفيه يتجلّى أسلوبه الفكاهي الانتقادي للأوضاع السياسية والاجتماعية. وتمثيليتان: حرب البسوس ومجاعة رومية.

السرقة والحراسة

في بيروت كما في كلّ المدن فريق للسرقة وفريق للحراسة وأحياناً يتناوبون. . أي حاميها حراميها.

أمّا الآن فليس عندنا إلاّ فريق السرقة ولهذا تعدّدت السرقات، وكان لداري منها نصيب حتى «بزّ» السيكارة الذي كنت معدّاً له يوبيل الخمس والعشرين. فسلّمت أمري لأصدقائي في دائرة البوليس ولمعارفي ممّن يعرفون «الزعران» وفاتني أن لا أسلّم الأمر إلاّ لله وهذا كما يقال حدّ النصيب.

فتشاور أهل الأحياء في إقامة حرّاس من لدنهم ريثما تصفو الحال وتعيد البلدية حرّاسها. وهذا رأي حضرة ناظم باشا والي الولاية أيضاً. كما ورد في منشوره. وبعبارة أخرى اتفقوا على العمل بقول المغنيّ:

هي جالو هي جالو العرب يا جمّالو
في أرض بريّة الشاطر يحمي حالو

ونعم ما يقولون.

وأمّا العبد الفقير إلى الله المؤمن بالله فلا أتكل من هذا القبيل إلاّ على ما جاء في الزبور وهو: «إن لم يحرس الربّ المدينة باطلاً يتعب الحرّاس»*.

* من حواضر البيت ص ٥ ـ ٦.

في الشوارب

كنت أمس مع صديقي الخواجا الياس الشويري من محلّ الخواجات مورك، وكان المجلس مجلس أنس تُرفع فيه كأس الشوارب. وأمرني أن لا أنساها في الحواضر فأتيت الآن بها من قريب.

لا شكّ أن الشوارب، وقاها الله، من حلّاق الافرنج زينة في وجه الرجل وأيّ زينة. وهي عند كثيرين تقوم مقام مسبحة التسلّي. والرجال يتفنّنون كثيراً في وضعها وتركيزها.

فمنهم مَن يستعمل المكواة على طريقة ألمانية ليكون الشّاربان واقفين كالعقربين على الساعة «عشرة وعشرة».

ومنهم مَن يستخدم «الفكس موستاش» أي مقوِّمة الشوارب، وفيهم صديقي المذكور وله عناية خاصة بالشاربين.

ومنهم مَن يوقفها على السلاح «هوز دور» مثل صاحبي الياس افندي شديد الوكيل العام لجريدة الوطن.

وعندي إنّ خير الشوارب للرجل هي التي يفصّلها على ذوق مَن يهوى من النّساء*.

---

* من حواضر البيت ص ١٤ ـ ١٥.

حواضر نسوانية

للنساء جميل عليّ ويكفيني ذكر الأم والأخت والصديقة.

عَتَبَتْ عليّ حسناء، من هذا الجنس بأني أعتنيت «في الحواضر» بالشّارب واللحية ولم يكن نصيب فيها للمحرومات من هذين الاثنين صاحبات الشعور والشعور. فوعدتها بكثير هذا قليله:

تركب السيدة الافرنجية والمتفرنجة ظهر حيوان طريّ وتستر الرّجل بالرّجل حشمةً واستحياء.

وهي تركب اليوم المركب الخشن (السيكل، البسيكل) الدّراجة الكرّاجة على الصورة التي نراها ولا يمنعها حياء. الحقّ الحقّ أقول لكم لا أعلم لماذا!

تهتمّ عزيزتي المشار إليها (لا الفلاّحة ولا الزرّاعة) بتحويل جسمها من حال إلى حال حتى وصل الهوس «بمدام سنيورة» إلى التوصية بأن يجهزّوها، رحمها الله، بثوب «ديكولتي» نصف العرية، فأخّروا المسير بالجنازة إلى أن تحضر حضرة الخيّاطة.

ولا تجهلون مقدار ما بي من الخجلة لدى بوس أيادي «السيّدات» العادة الدّارجة عندنا حديثاً وهي خارجة...

على أنّي أفيد تلك الحسناء أن لا مطمع منّي بمداهنة وتمليق نساء، فقد أصبحت أغني:

حطّط الجمّال وطوينا الحبال*

---

* من حواضر البيت ص ٢٦ ـ ٢٧.

نظام لبنان المذهبي

أمّا بعد فإنّ الأمر الأخير الصادر من نظارة الداخلية في شأن انتخاب جبل لبنان أعضاء لمجلس المبعوثان، حرّك (خلاقين) القال والقيل في جبلنا السعيد الذكر.

الكلّ يعلم أنّ في الجبل فئتين إيجابية وسلبية. فإذا فرضت الفرض البعيد وحسبت الكميتين متساويتين فإحداهما تنفي الأخرى.

وللدستور أحكام في عدد الذكور بمقتضاها لا يحقّ الانتخاب لأقضية زحلة والكورة وجزين ومديرية دير القمر إلّا إذا توحّدت موقّتاً بنعمة الدستور.

والدستور يوجب التساوي وصرف النظر عن المذاهب فهل يتيسّر ذلك في لبنان وقاعدة نظامه في المأموريات التفريق في الأديان من دولة المتصرّف إلى قائمي المقام إلى الأعضاء حتى الكتّاب.

نضرب مثلاً لهذا يشرح الصدر:

الكَتَبة لمجلس الإدارة:
باشكاتب. ماروني.
كاتب ثاني. درزي.
كاتب ثالث. روم أرثوذكس
كاتب رابع. ماروني.
كاتب خامس. روم كاثوليك.
كاتب سادس. ماروني.

أي عبارة عن ورق «شدّة» مفروط في جيب أرناؤطي.

وكيف ينطبق الدستور على جبل كنت ترى في صدر مجلس الإدارة فيه رقعة مكتوبة بأجمل خط:

(ولو شاء ربّك لجعل الناس أمة واحدة)؟ مسألة فيها نظر و. . . عمى*.

* من حواضر البيت ص ٢٨ - ٢٩ .

قومندان

جاء بيروت نجيب بك قومنداناً للجندرمة جديداً لم يسعدني الحظّ بأن أعرفه بعد.

يبين أنّه جندي صحيح يريد ويقدر أن يخدم الولاية خدمةً حسنةً، ويبين من تباشيره حتى الآن أنّ هذا الرجل رجل.

لكنّه ما كاد يقوم بما عليه حتى أسْمَعَه فونوغراف الصحف ذلك «الدور القديم» الذي ملّته الأذن كما ملّت كل فونوغراف وغناء: «يا همّام يا مقدام يا حزوم يا عزوم وهلمّ جرّاً. . .» وقد بلغني، والعهدة عليّ، أنّ أرباب الصحف يحضّرون له المباخر والعطور.

فأنا لذلك أسأله أن لا يُغرّ بنا ويعوم على جرابنا. فهي صفات مصفوفة حروفها منذ عرفنا المطبعة. ونعوت يستوي عندنا فيها مَن صلح لها ومَن لم يصلح. وأرجو منه (لطفاً وإحساناً) أن يومىء إليهم بطرف خفيّ أنْ يقتصروا في ذكره على عمله. وفّقه الله*.

---

* من حواضر البيت ص ٣٥.

تحرير غريب

الصاحب الشابّ اللطيف الظريف الساعاتي في رأس سوق الطويلة نعّوم أفندي سودا عاضني من ساعتي وسلسلتها المسروقتين بمعرفة البوليس بجورنال رسمي «كستيك ذهب أميركاني».

عوّض الله عليّ وعليه. لكنه كدّر صفوي بتحرير أرسله إليّ مشحون بالاستعارات والكنايات المصطلح عليها عند قوم من كتّابنا.

هذا هو تحريره واحملوا عنّي شيئاً يا سادتي القرّاء:

إلى مجدّرة اللطف ومدردرة الظرف وهريسة الكمال الشيخ اسكندر أفندي العازار أدام الله تعالى مقانق وجوده.

أكتب إليك وشوربة الدمع تسيل على كبّة خدودي ويخنة الكشك تقطر من خياشيمي من هبلة رشتة الفراق المالئة رأسي وقلبي يحيط به من الهموم شيخ المحشي ويدي المبتلاة بحرّاق إصبعه لا تقدر أن تكتب إليك ما يخالجني من معاليق الوجد ومخلوطة الشّوق ومحاشي الهيام ومحمّصة الغرام.

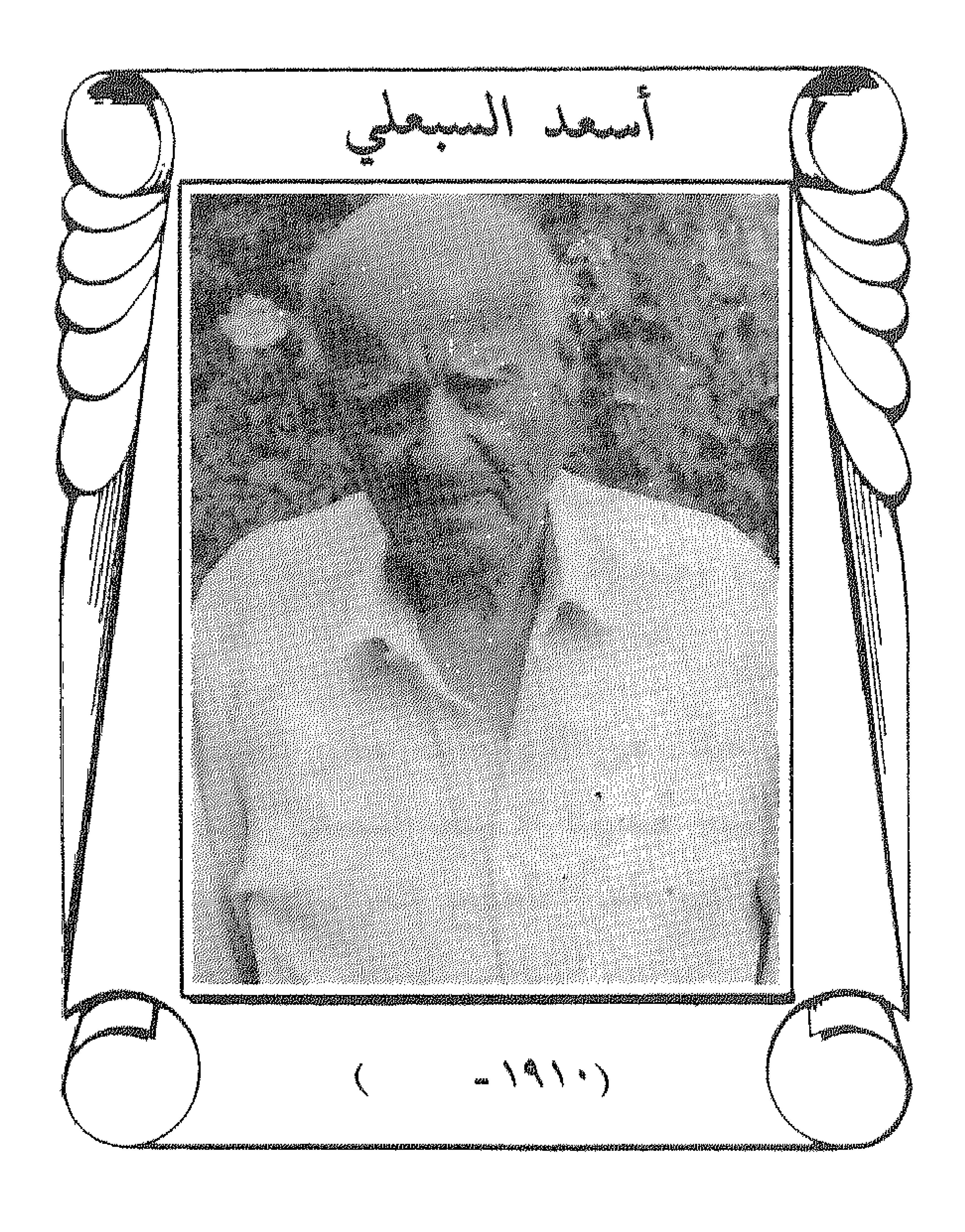
(الله الله)

جسمي لفراقك لحم مشوي نشّف من كثرة الهجران فاسأل المولى أن يسكب عليّ مهلّبية الصبر ومغلي السلوان والسلام من أخيك الجوعان.

انتهى والحمد لله*.

---

* من حواضر البيت ص ٣٩ - ٤٠.


أسعد السبعلي
(١٩١٠-   )

اسعد السبعلي صوته من لبنان، وعينه من لبنان وقلبه من لبنان ولهجته من لبنان. بهذا وصف الأديب الكبير ميخائيل شاعرنا.

ولد في سبعل في قضاء زغرتا سنة ١٩١٠. درس في مدرسة تحت السنديانة، وتحتها نما، ونمت معه موهبة شعرية نادرة.

أولى قصائده نشرها في «الأرزة» لصاحبها يوسف الحتي. واستمرّ حتى صار له مكان بارز في ميدان الشعر إلى جانب الكبار.

أصدر سنة ١٩٣٨ جريدة «السبعلي»، وشارك في تأسيس عصبة الشعر اللبناني. أسهم في خلق الأغنية اللبنانية، فأغانيه كانت وراء نجاح العديد من المطربين والمطربات اللبنانيين المعروفين أمثال وديع الصافي ونجاح سلام.

منحه الرئيس شارل حلو وسام المعارف اللبنانية ومعه زميله الشاعر أسعد سابا، وكان اسماهما أدخلا في الموسوعة الفرنسية الكبرى. وفي عهده، منحه الرئيس سليمان فرنجية وسام الاستحقاق اللبناني.

شعره ترجم إلى لغات أجنبية عدة. من آثاره: عطور من لبنان، هادا لبنان، حكايات، سلوى، ومنجيرة الراعي، ويا بو جميل.

قال عنه أمين نخلة:

«هذا نبيذ سبعلي حقّاً. من الذي حلّله بعض الشعراء في عصر متقدّم، وحرم غيره، وقد جاء اليوم صديقنا الاستاذ السبعلي ينقله إلى الورق بطعمه ودسمه ولطف شعاعه، كان خمراً فأصبح شعراً، وكان نعيم الله في كأس فأصبح نعيم الله في طرس من يد الشارب إلى يد القارىء، فهنيئاً مريئاً له».

وإلى جانب شاعريته، اشتهر السبعلي بالظرف وسرعة الخاطر، فتردّدت أشعاره وردّاته ودعاباته على كل شفة ولسان.

شمس

روى كبير شعرائنا أسعد السبعلي هذه الحكاية. قال:

كنت نازل عابيروت، وحدّ مني بالسيارة بنت عشرينية، والشمس عم تتكرفت بهالبحر، ولمن عرفتني طلبت مني إعطيها صورتي تذكار. .

مـا عـنـدي. . مـنـين بـدي جـيـب
الـصـورة الـمـطلوبـة مـنّـي؟
شـوفـي الـشـمس الـعـم بتـغـيـب
هـي أصـدق صـورة عـنـي. . .

جنون

وقعت سيدة تدعى جوليا صيداً جميلاً بين الشاعرين علي الحاج وأسعد السبعلي. فقال لها الأوّل:

عـجـيـنـك بـالمـحبّـة صـار طـالـع
وفـيكـي الحـجّ عـمـيـنـظم مـطالـع
شـفـت الـلـيـل مـن نـصـك ونـازل
وشـفت الـبـدر من نـصّـك وطـالـع

وقال السبعلي:

عـنـدي بـالـهـوى والحـب طـالـع
وأوصـف نـور وجهـك بـدر طـالـع
أنـا يـا عـامـريـة قـيـس ثـانـي
وبـدّي جـنّ مـن هـلّق وطـالـع

عبـــد

قال الشاعر أسعد السبعلي لسيدة حلوة قررت مغادرة لبنان إلى أفريقيا:

يـــا ست عبــد الحب قـلبي شـي أكيــد

نهـــارو ضنى والليـــل جـــرحـــات ونهيـــد

إن رحتي عــلى افـــريقيـــا رح بسـبقــك

تـــا يـزيــد واحــد رقم مجمـــوع العبيـــد

سرّت الحسناء بهذه الردّة، وقالت له بغنج: بدّي ردّة ثانية قبل ما سافر.

فاستجاب السبعلي لها وقال:

الـــله كـــوّنـــلك هـــالـــقـــدّ

وصـــار يـتـمـشـى مـقـــابـيـلك

كيف صبّـــك حلوي هـــالقـــدّ

بيـــظهـــر كـــان مستفـضيلك

ضيعانك

مازحت صبية حلوة الشاعر اسعد السبعلي وقالت له: ضيعانك يا أسعد تشيب. فردّ عليها مرتجلاً:

في منو شيب بينحب
وفي منو شيب بينسب
شو همك لو شعري شاب
ما دام قلبي بعدو شب

روحي هون

الشاعر الكبير أسعد السبعلي زار يوماً إحدى الحسناوات ولم يطل. فقالت له: «ضيعانك تروح بكير يا أسعد». وكان ردّ الشاعر الفوري:

وردة فيكي أحلى لون
وأحلى صورة بكتابي
بروح وبترك روحي هون
توصّي فيها بغيابي

خوري

الشاعر بطرس الخوري المعروف بالمتريتي، نسبة إلى متريت في قضاء بشري، سيم كاهناً بعد بلوغه الخمسين من العمر باسم جرجس الخوري العنداري. بعد السيامة التقاه أسعد السبعلي فقال له مازحاً:

ستّ الكنت بتعرفها
وتسهر عندا ليلي
كيف لك عين تعرّفها
وتحلاّ من الخطي؟*

* وجوه ومرايا ص ١٦٥.

إجرة طريق

يقول أسعد السبعلي:

تلاقيت مرّة بصديقي الشاعر جورج صيدح قلّي: أنا مسافر بكرا عا باريس، وإذا إجاك شي مشوار عافرنسا تلفنلي عاهالنمرة حتى شمّمك الهوا هونيك.. كتبتلو هالبيت وهربت من الدرب:

رح بيـع ديـواني «ورق للصـرّ»
لـو جـرحت التـاريـخ هـالبيعـة
وبـركي بهـالـبيعـه حـدا بينغـرّ
إجرة طريق، من هون... للضيعة*

* منجيرة الراعي ص ١٠١.

خواطر شعراء

في تشرين ١٩٤٨ عاد الأديب الشيخ حبيب مسعود (بشري) من البرازيل إلى لبنان للمشاركة في مؤتمر الأونيسكو الذي عقد في ١٧/١١/ ٤٨ في بيروت. وفي صبيحة يوم من أيام إقامته في الوطن، زاره عدد من الشعراء. دار الحديث وتتذاك حول نهضة الزجل (الشعر اللبناني). وشاء رئيس العصبة الأندلسية مسعود أن يتركوا في مذكرته شيئاً من خواطرهم، فكتب الشاعر أسعد السبعلي:

«عصبتك» للفكر غنيّة أمل
وكرّة كنار الروح في عرس الجهاد
خذلي معك عطر الجبل من هالجبل
وفرّقو ع كلّ غيّاب البلاد

وكتب أسعد سابا:

لبنان مشعال التحرّر يا حبيب
وروح الثقافة العالية ورمز الأديب
خبّر ولادو العايشة خلف البحور
أرزو استقلّ وما بقا يحبّ الغريب

وكتب إميل مبارك:

رمّان متلان حَبّ بيشبه للخَرز
والكوز حدّ الكوز عالعمد اندرز
بيكلّ عمرك شفت شجرة بثمرتين
رمّان بيدون حبّ وبيحمل كرز

وكتب اميل رزق الله :

قــامــت مــن الــنــوم عــاخــدًا قــمــر
لبست قميص شفّــاف من أعلى النمر
وعــاجها لمــا اختلج تحت الحريــر
متـل الحـرامي الــراكض بضـوّ القمــر


عمر الزعنّي
(١٨٩٥ - ١٩٦١)

عرف بشاعر الشعب، لما كان لأغانيه الانتقادية والمنولوجات التي كان يقدمّها ويغنّيها، من قوةّ التعبير عن مشاعر المواطنين ومواقفهم تجاه ما يجري في البلاد من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية. كان نسيج وحده في هذا اللون من الشعر الغنائي الشعبي.

ولد عمر الزعنّي في بيروت سنة ١٨٩٥. وبعد خمس سنوات، أُدخل مدرسة العباسية، وانتسب إلى فرقتها الموسيقية.

في سنة ١٩١٣ تخرّج من العبّاسية، ومارس التعليم فيها. وعندما اشتعلت الحرب الكبرى الأولى سافر إلى حمص، والتحق بالمدرسة الحربية، ليتخرج منها برتبة ضابط إداري، فعيّن ضابط إعاشة في الجيش العثماني.

في سنة ١٩١٦ أعدمت السلطات العثمانية مجموعة من أحرار لبنان وسوريا، وأبعدت عمر الزعنّي إلى فلسطين. وبعد اندحار الجيش العثماني وسيطرة الحلفاء على المنطقة، عاد الزعني إلى لبنان.

في بيروت عمل مدرّساً، ثم دخل الوظيفة الرسمية. وإلى ذلك التحق بمعهد الحقوق الفرنسي دارساً المحاماة. لكنّه أُقيل من وظيفته ومُنع من متابعة دراسته الجامعية، بسبب أغنيته المشهورة «حاسب يا فرنك، يا فرنك حاسب» التي نظمها على أثر هبوط الفرنك الفرنسي، عملة الدولة المنتدبة.

ظلّ عمر الزعنّي يكافح بأغانيه، ويثير همم المواطنين ونقمة الحاكمين، من أجل الحريّة والعدالة والديمقراطية في لبنان، غيرَ عابيء باضطهاد أو نفي من البلاد، حتى قضى سنة ١٩٦١.

قال فيه الشاعر محمد يوسف حمّود:

«الكلام عن الزعنّي يجرّ ويجرّ حتى لا يكفيك أوراق وأقلام للكتابة عن شخصية وأشعار وأفكار وتطلّعات عمر الزعنّي، إذا كان ذلك في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، لأنه رحمه الله لم يترك شاردة ولا واردة إلاّ وأتى على ذكرها وانتقادها. فعمر الزعني موسوعة علمية خالدة يستفيد منها كل من يريد أن يعرف تاريخ لبنان والعرب».

جدّدلو

عندما ظهرت نوايا الرئيس بشارة الخوري وأنصاره ومؤيديه في تجديد ولايته، أنشد عمر الزعني هذه الأغنية، التي سببت له الملاحقة من قبل السلطة والحبس.

جـدّدلـو ولا تـفـزع
خـلّيـه قـاعـد ومـربّـع
بيضـلّ أسـلم من غيـرو
وأضـمن لـلعـهـد وأنـفـع

* * *

تـاري حسـاب السـرايـا
غيـر حسـاب الـقـرايـا
فـي الـزّوايـا خـبـايـا
وفـي الـخـبـايـا بـلايـا
بـيّـن سـوء الـنـيّـة
والمـطران فقس المدفـع

* * *

وجـه عـرفنـاه وجـرّبنـاه
وعـرفنـا غـايتـو ومبـداه
ووافـق هـوانـا هـواه
قـدّام خصمـو يـا محلاه

مـا دام ظهـرت نـوايـاه
ما عـاد في مـانـع يمنـع

* * *

لا تخـاف إلاّ من الطفـران
الـطفـران غلب السـلطان
والـمحـروم والـجـوعـان
بيضـلّ بمـالـك طمعـان
أمّـا المليـان والـشبعـان
من لقمـة زغيـري بيشبـع
هـوّي بـأمـنيتـو ظـفـر
ومـدامتـو شبـعت سـفـر
والمحـروس نـال الـوطـر
وإخـواتـو شبـعـوا بـطـر
مـا عـاد في منّـو خـطـر
مـا عـاد إلـو ولا مـطمـع
جدّدلو ولا تفزع. . . *

* عمر الزعني موليير الشرق ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨.

الشعب المسكين

كـلا ثـلاث أربـع أشـهـر
بـتـتـغـيّـر الـدواويـن
بيتبدّل المأمورين
بينزل ناس
بيطلع ناس
على ظهـر الشعب المسكين

*

بتتغيّر السياسة
بتتبدّل الرياسة
لمّا بتضيع الطاسة
بتتقسّم الـغنايـم
على ظهـر الشعب المسكين

*

بتتشكّل الوزارة بغمزة
من فوق وإشارة
بـيـجـي درويش طـبـارة
بـيـقـوّص فـتّـيش وسـهـوم
على ظهـر الشعب المسكين

*

بيطلع مجلس النواب
بتزلغط الأحباب
والخدّام والحجّاب
بتتعيّن عالأبواب
بتتعيّن المحاسيب
على ظهر الشعب المسكين

*

وإن طار عجز بالآخر
بتتشطّب الدفاتر
رسوم وضرايب
على ظهر الشعب المسكين*

---

* عمر الزعني موليير الشرق ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

في كل ضيعة قديسة

بين سنتي ١٩٤٦ و١٩٤٧ أنشد عمر الزعنّي هذه الأغنية، متناولاً فيها حقيقة الشعب اللبناني، ولنا أن نعتبر. قال:

في كلّ ضيعة قدّيسة
فيها جامع وكنيسة
بدنا مين يخلّصنا
من هالحالة التعيسة

*

السنّ بيضحك للسنّ
والقلب جوّا ما بيحنّ
والمشاكل ما بتكنّ
شو هالأمه التعيسة

*

بالظاهر كلنا إخوان
بالباطن أشكال ألوان
منتظاهر بحبّ الأوطان
تحت ستار القديسة

*

عالعالي بدنا استقلال
عالواطي جيش احتلال

يا ضيعان هيك رجال
وهالنفوس الحبيسة

*

في الجرايد منهلّل
في المعابد منعلعل
في كلّ مشكل مندخّل
محمد وموسى وعيسى

*

وعلّتنا منّا وفينا
واللي فينا بيكفينا
بدنا مين يشفينا
من الأمراض الخبيثة*

---

* عمر الزعني موليير الشرق ص ٢١٨ - ٢١٩ .

أمّ الجاكيت

في أواخر الخمسينات غنّى عمر الزعنّي هذه الأغنية وقال ممهّداً: لمّا الستّات اخدو حقوقهن السياسية، والأدبية والاجتماعية وتوظفو بالدواير، وتعيّنو بالبلدية، بالبريد بالمطار بالتلفون، كتر لبس الجاكيت والبنطلون، صار لازم تغنّي الناس «يمّ الجاكيت والبنطلون»:

يـمّ الـجـاكـيـت والـبـنـطلون
شـفـتـك واقـفـة فـوق الـبلكـون
خـمّنتـك شـبّ يـا مـدمـوزيـل
لا تـواخـذيـني، بـردون، بـردون

*

شفتـك لابسي بيـريـه وكـاسكيت
ودايـره بـالـسـوق بثيـاب البيت
من غيـر بـودره من غيـر تـواليت
وقـاصّـي شـعـرك ألا غـرسـون
خـمّنتـك شـبّ يـا مـدمـوزيـل
لا تـواخـذيـني، بـردون، بـردون

*

وشفتـك طـالعـة بـالليـل وحـدك
رايـحـه جـايـي ويـن مـا بـدّك
طـالعه من هـون، نـازلي من هـون
خـمّنتـك شـبّ يـا مـدمـوزيـل

لا تـواخـذيـني، بـردون، بـردون

*

شفتـك مـرّه بعـربيـه «بـويـك»
طـالعه بـالليـل من فيـلا شيـك
وعلى جنبـك ست شيك وسمبـاتيك
وعـمـتـتـمـايـل عـالـدركسـيـون
خـمّنـتـك شـبّ يـا مـدمـوزيـل
لا تـواخـذيني، بـردون، بـردون*

* عمر الزعني موليير الشرق ص ٦١٢ - ٦١٣.

يا ضيعانك يا بيروت

في سنة ١٩٣٨ صرخ عمر الزعني «يا ضيعانك يا بيروت»، ولا تزال هذه الصرخة هي هي حتى اليوم.

يـا ضيعـانـك يـا بيـروت
يـا مـنـاظـر غـشّـاشـة
يـا عـروس بـخـشـخـاشـة
يـا مصمـودي بـالـتـابـوت
يـا ضيعـانـك يـا بيـروت

*

الـجـهـلاء حـاكـمـيـن
والأرزال عـايـمـيـن
والأنـذال عـايـشـيـن
والأوادم عـم بـتـمـوت
يـا ضيعـانـك يـا بيـروت

*

الـخـامـل حـامـل نيـشـان
والسـافـل لـو قـدر وشـان
يـا ضيعـانـك يـا بيـروت

*

الـغـريـب بـيـتـمـخـطر
والـقـريـب بـيـتـمـرمـر
واللّي بيـفـوت مـا بيـضهـر
واللّي بيـضهـر مـا بـيفـوت
يـا ضيعـانـك يـا بيـروت*

* عمر الزعني موليير الشرق ص ٧٨٠.

شي بيحيّر

قال عمر الزعنّي عن عيشتنا وكيفيّتها «شي بيحيّر» وذلك سنة ١٩٢٨ :

شي بيحيِّر
شي بيطفِّر
شي بيكفِّر
شي بيشيل الدين.

منعمّر
منشِّمر
وطفرانين
منصيِّف
ومنكيِّف
ومديونين
مناكل حاف
وبلا لحاف
ومبودرين
منتأمبر
منتشنتر
وجوعانين
منتستَّر
ومنبرِّز
وعريانين

منركض ركض
منطوي الأرض
ومسبوقين

منطبّل
ومنزمّر
وحزنانين
منعيّط
ومنشيّط
وملجومين
راح المال
والرسمال
ومبسوطين
حال وحال
وما في حال
وفرحانين
منفرح يوم
منبكي دوم
وفرحانين
والمسّاس
بضهر الناس
وممنونين
عيشة خلط
وما في ضبط
وكيف عايشين؟!؟*

* عمر الزعني موليير الشرق ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

متفرقات

مصادرة

في عهد الانتداب ندّد اسكندر الرياشي في جريدته «الصحافي التائه» بإحدى الحكومات السورية وانتقدها انتقاداً جارحاً، فما كان من الحكومة السورية إلّا أن أصدرت قراراً بمنع دخول الجريدة ومصادرة أعدادها. وفي اليوم التالي للمصادرة كتب اسكندر الرياشي في الصفحة الأولى وضمن إطار أحمر مقالاً ورد فيه:

«قبض على «الصحافي التائه» في دمشق كصحيفة وليس كرجل واقتيد إلى سراي المرجي (مقرّ الحكومة السورية) حيث مُزّق وأمر أن تمسح به الأقفية، وقد اتضح بعد التحقيق أنّ الذين مسحوا بالصحافي التائه أصبح في أقفيتهم من الظرف والأدب أكثر ممّا في رؤوسهم»*.

---

* الظرف وظرافات ص ٨٩.

كفن الباحث

قضى العالم العلّامة عيسى اسكندر المعلوف عمره بين كتبه وأوراقه في بيت جعله كلّه مكتبة تحتوي آلاف المجلّدات النادرة. وقد زاره يوماً أحد أصدقائه فوجده غارقاً في بحر تلك المكتبة، والكتب والأوراق أكداس مكدّسة حوله فقال له: أشفق على نفسك، فهل أنت كذلك الكلِف الذي كان كثير السكر، فلمّا أشرف على الموت قال:

اجعلوا، إنْ متُّ يوماً، كفني
وَرَقَ الكرمِ، وقبري المعصَرَهْ
وادفنوني وادفنوا الرّاحَ معي
وَضَعوا الكاساتِ حول المقبرهْ

فأجاب المعلوف: وأنا أشدّ كلفاً في الكتب، وأعارضه بقولي:

اجعلوا، إنْ متُّ يوماً كفني
وَرَقَ الكُتْبِ، وقبري المكتبهْ
وادفنوني وادفنوا الكُتْبَ معي
وانشروا الأوراقَ حول المرْتَبَهْ*

* البيدر، السنة ٣٠، العددان ٤٧٦ و٤٧٧، ٢٥ أيلول ١٩٧٣، ص ٦.

ستّي

كان المجمع العلمي منعقداً في دمشق وكان من أعضائه البارزين العلّامة عيسى اسكندر المعلوف، فدخل أحد الشعراء الهجّائين وهو من آل «ستّي» وقال لهم: أنا آتٍ لأهجوكم. فامتعض المعلوف وحاول اسكات الشاعر فلم يفلح فانسحب من الجلسة ثم عاد وقاطع الشاعر الهجّاء بقوله:

تحاشى المجمعُ العلميُّ عمّا
نَسَبْتَ إليه من زورٍ وبهتِ
أرى التحريفَ دَأْبَكَ دون شكّ
أمَا حَرَّفْتَ «سيدتي» بِـ «سِتّي»؟*

* البيدر، م.ن.

آفات الثمانين

عندما بلغ المعلوف الثمانين من العمر زاره أحد أصحابه وهو طريح الفراش فقال له: لقد قال قبلك شاعرٌ في الثمانين:

إنّ الثمانينَ وبلِّغْتُها
قَدْ أُحْوَجَتْ سمْعي إلى ترجمان

فردّ المعلوف ارتجالاً:

إنَّ الثمانينَ وُبلِّغْتُها
قد حَمَّلَتْ عينيّ نظّارتَيْنْ
وَنَهَكَتْ منّي صحيحَ القِوى
فَحَمَّلَتْ أذنيَ سمّاعتَيْنْ
شيخوخةٌ قد نَغَّصَتْ عيشتي
ذَكَرْتُ من آفاتِها آفتَيْنْ*

---

* البيدر، م.ن.

قاضٍ قاسٍ

قال داود عمّون يصف قاضياً عرف بقسوة أحكامه:

يا قاضياً لو أتوهُ ... بِطِفْلَةٍ فوق مَهْدِ
وَاتَّهموها بِنَقْلِ ... الأهرامِ في يوم شَرْدِ
لَجَاءَها منه حِكْمٌ ... يَقْضي بِحَبْسٍ وَجَلْدِ
فلا البداهةُ تُغْني ... ولا المحاماةُ تُجْدي*

* الضاحكون ص ١٥٧.

تذكار

تعرّفت إحدى المصطافات على أديب لبناني وقد بادلته الحبّ.

ولمّا انتهى الصيف، تركت له كلباً، على سبيل التذكار، فَهَنَّأه أحد الأصدقاء بقصيدةٍ جاء فيها:

وقـد كـانَ يـأْتيها وَتَـأْتيـهِ في الـدُّجى
فـيشـربُ من خَمْـرِ الـغـرامِ وَيَسْكَـرُ
وَأَهْـدَتْ إليـه كَلْبَهَـا يـومَ سـافَـرَتْ
لِيَـذْكُـرَهـا، والشيءُ بـالشيءِ يُـذْكَـرُ*

* الضاحكون ص ٣١٢.

أبو الركب

أصيب الشاعر والقاضي الشيخ يوسف زخريا بأبي الرُّكَب، فارسل إلى الشاعر عبد الرحيم قليلات، وكان مشهوراً بسمنته وخفّة روحه، بهذه الأبيات:

أوَهَلْ عَرَفْتَ أبا الرُّكَبْ
فهو العلاجُ المُسْتَحَبّ
للكِرْشِ يحرقُ دهْنَه
والشحمِ يذهبُ في لَهَبْ
زُرْني وَخذْهُ إنَّه
رَهْنٌ لأمْرِكَ والطَّلَبْ
فيصيرَ جسْمُكَ مثْل رو
حِكَ في الرّشاقةِ والأدبْ

فأجابه قليلات:

عوفيتَ يا شيخَ العَرَبْ
وَعَفَتْ جيوشُ أبي الرُّكَبْ
ما لي وعودتكَ التي
لم تَجْنِ لي غيرَ التَّعَبْ
بيتي كمستشفى وقد
كَمُلَتْ بأسقامي النُّوَبْ
فافرحْ بما أعقبْتَه
وتهنَّ يا ديكَ الحَطَبْ*

---

* الضاحكون ص ٣٩٦.

فيفي

دخل الشاعر إيليا أبو ماضي على صديقه وليم كتسفليس، وكلاهما كان عضواً في الرابطة القلمية التي تأسست في نيويورك وترأسها النابغة جبران خليل جبران، فوجده مغتمّاً، وبين يديه كلبته «فيفي» جثة هامدة، فرثاها أبو ماضي قائلاً:

عضّها الدّهرُ بعدما عضتِ الناسَ
وأدّت مَهَمَّةَ الحجّابِ
كم فقيرٍ أتى ليَشْحَذَ قوتاً
حُرَمَتْهُ فيفي وُلوجَ البابِ
وَغريمٍ قد جاءَ يطلبُ دَيْناً
تَرَكَتْهُ معفّراً في الترابِ
وشَقيٍّ أتى ليسرقَ بيتاً
غادَرَتْه ممزَّق الأثوابِ
رحمةُ اللّحمِ والعظامِ عليها
وصلاةُ الصحونِ والأكوابِ*

* الضاحكون ص ٢٦٦.

كلب أبيض وكلب أسود

اتخذ المتصرّف مظفّر باشا لأمانة سرّه رجلاً من آل الأسود، كان يجلسه دائماً في ديوانه ويطلعه على أسراره ويسمح له بالتدخّل في شؤونه، كما كان يقتني كلباً أبيض يحضره معه إلى ديوانه. فنظم فيه الشاعر تامر الملاط البيتين الآتيين:

صار «المزفّر» في البلادِ مظفَّراً
وغدا الجنودُ له تقومُ وتقعدُ
وأمامه كلبانِ: كلبٌ أبيضٌ
يَرعى الوفاءِ له، وكلب «أسودُ»*

---

* لئلا تضيع ص ٢٠٧.

اشترِ حماراً يصر عندك حماران

أراد رجل أن يعلّم ابنه في الجامعة الأميركية في بيروت، فطلبت منه الإدارة رسماً مدرسياً مقداره خمس ليرات عثمانية.

وكان الرجل سامعاً بفضل فان ديك، فقصده طالباً منه التوسط لدى الإدارة لتخفيض قيمة الرسم. فقال له فان ديك إنّ الرسم ليس باهظاً.

فصاح الرجل: ولكنني استطيع، يا سيدي، أن أشتري بهذا المبلغ أحسن حمار من هذه البلاد.

فقال فان ديك بكل هدوء: عندئذٍ يصير عندك حماران*.

* لئلا تضيع ص ٢٣٦.

قهوة البنّ حرام

يروى أنّ مجلساً ضمّ الشيخين يوسف الأسير وناصيف اليازجي، حيث قدّمت إليهما القهوة، فامتنع الأسير عن تناولها وقال على البداهة:

قــهــوةُ الــبــنِّ حــرامٌ قــد نهى النـاهــون عنهــا

فما كان من الشيخ اليازجي إلّا أن تناول فنجاناً وقال:

كيف تــدعــوهــا حــرامــاً وأنــا أشــرب مــنــهــا؟!*

---

* لئلا تضيع ص ١٧٢.

كذّابين

التقى زغلول الدامور بكروان الوادي، وكان الزغلول قد تأخر عن الموعد، فقال له الكروان:

إنتو بالقرن العشرين
من الجماعة المبغوضين
تقيّد اسمك يا زغلول
في قايمة الكذّابين

فأجابه الزغلول:

كلّك لطف وكلّك ذوق
وحتّى شوفك عندي شوق
بيقايمة الكذّابين
اسمي تحت واسمك فوق

كاس وراس

في جلسة على كأس عرق جمعت الشاعرين شحرور الوادي وعلي الحاج.

قال علي:

يا كاس الخمره يا كاس
يا الكلّك رقّه وإحساس
بعلمي عا بطني بودّيك
كيف شكل بتطلع عالرّاس

فأجابه الشحرور:

الخمره عنّك مش راضي
روح تشكّى للقاضي
بتلاقي بطنك مليان
بتطلع عامطرح فاضي

ليلى وبيّها

في حفلة أقامتها فرقة الزغلول في مغدوشي ليلة عيد السيّدة سنة ١٩٤٩، قال سليم الفرّان متغزلاً بفتاة اسمها ليلى:

ليلى الجميلي عندما قرّ القرار
وحاوطوها عاليمين وعا اليسار
بيّا رضي فيّي، وسأل مين بدّها
نادت عا راس السطح بدّي الاختيار

فأجابه ميشال قهوجي مازحاً:

يا ناس ليلى مين طالع زيّها
عرفتا جميلي وبنت زينة حيّها
وما زال راضي بيّها بالاختيار
ما أجدب من البنت إلا بيّها

عضّة الدهر

أدخل النائب الأديب ادوار حنين مستشفى رزق في بيروت لمعالجة ألم أصابه برجليه، فزاره الشاعر اميل رزق الله، وقال له:

شو هالدهر الهيك وهيك
ظهر في لو تار عليك
ما قدر ليك براسك
نخّ وعضّك بياجريك

وكيل سيبويه

الاستاذ جان جلخ، نقيب سابق للمحامين، كان يتقن المرافعة بالعربية والفرنسية على حدّ سواء. ذات يوم أدلى الجلخ بدفاع رائع، وكان بين الحاضرين الاستاذ ميشال، وهو نقيب سابق للمحامين أيضاً، فاستوقفه وقال له:

- أجدت يا أستاذ. ولكن الضوابط (ضوابط اللغة وقواعدها) ليتك تتنبّه إليها قليلاً.

فرد الاستاذ جلخ مع ابتسامة مازحاً:

- ليش موسوس كل هالقدّ عاللغة؟ أي متى وكّلك سيبويه عنّو؟*.

* نوادر القضاة والمحامين ص ٥٤.

البيرق

كتب المحامي الأديب عصام كرم، مرّةً، إحدى المقالات السياسية في جريدة «البيرق» فحكمت عليه محكمة المطبوعات بالسجن، واستبدل حكم السجن بغرامة مالية مقدارها مئة ليرة لبنانية.

والتقاه بعدها الدكتور الظريف يوسف شرابيّه وأنشده قائلاً:

قــاضي الـمــطبــوعــات ديّــوس
و«بـيــرق» عــاطيــزو فــانــوس
شــايــفــلك رح بــتــفـلّس
وتـقـضّـي عـمـرك مـحـبـوس*

* نوادر القضاة والمحامين ص ٥٦.

حبّة مسك وزيادة

سأل المحامي نظير الخليل قاضي المدينة انطوان شدياق، وكان قاضياً في بشري، عن سلسلة الأحكام التي يصدرها تباعاً في الأجواء الأمنية المضطربة. فأجاب القاضي الشدياق:

عنّا قضايا بلادي
منحلّا عالقّرادي
حقّ المتقاضي منصان
وحبّة مسك وزيادي*

* نوادر القضاة والمحامين ص ٥٨.

بيكفوني

اشتهر النائب الدكتور الياس الخوري بأنه ظريف وصاحب نكتة. دخل مطبخ بيته يوماً، فوجد «فخاض» اللحم معلقة، وهي هدية من مريض عاينه دون أجر. عندئذٍ قال:

أفـخـاض إجـو يـهـدونـي
وفـيـهـا افـتـكـروا يـرضـونـي
مـا عـرفـو أنّـو بـبـاريس
كـان فخـضَينْ بـيـكـفـونـي؟!*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء ص ٢٠٨.

كرت الإعاشة

أيام الحرب العالمية الثانية، فرضت السلطات التقنين، ووزعت القمح والشعير وباقي الحبوب بموجب بطاقة عرفت بـ«كرت الإعاشة». وفي إحد السهرات التي جمعت بين رشدي المعلوف وصديقه أنيس عقل، قال عقل للمعلوف:

ما زالو سوقك ماشي
وضرسك متل الكمّاشي
وقاضيها من بيت لبيت
بيعو كرت الاعاشي

فردّ رشدي:

هالفكرة عجبتني كتير
ما ضروري كتير التبذير
مقدّم كرت الاعاشي
ما زال الاعاشي شعير*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء ص ١٦٦.

واقف صوره

مرّة تغيّب الدكتور يوسف شرابيه عن المجلس الاسبوعي عند الخوري يوسف عون. وفي الأسبوع التالي، وفور دخوله، سأله الخوري: وين كنت الجمعة الماضي، انشغل بالنا عليك؟

ابتسم شرابية وأجاب بصوت خافت: رحت عالكورة. والخوري يعرف أنّ شرابيه، أيام الشباب، كان يحبّ صبية في الكورة، فعاد وسأله: خدتلا شوكولا؟

كبرت ابتسامة شرابيه وأجاب: ما عاد عندا سنان. وضحك ثم قال له الخوري:

ختيار وواقف صوره
شوفي رايح عالكوره
فلحتا فلاحه أنت وشبّ
ضروري عالنّيري تزورا*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء ص ١٣٧.

تمتعوا

سنة ١٩٦٤ أصدر المونسينيور يوسف سيده (مقيم حالياً في الولايات المتحدة) كتاباً كبير الحجم، أنيق الطباعة، ضمّنه مستندات وقفياته لبلدته زغرتا - إهدن بولاية البطريركية المارونية. وحمل الغلاف رسم حمامة تحمل في منقادها شعاراً يقول: اعملوا لحياة الأبد. وقد وزعه المؤلف على أنسبائه وأصدقائه والأهالي. وفي جولة التوزيع التقى المونسنيور بالمهندس الشاعر حسيب غالب، جالساً «يؤركل» في مقهى بولس دحدح - الميدان في إهدن، فقدّم له الكتاب دون توقيع. طلب الشيخ حسيب منه أن يوقّعه فقال له المونسينيور:

- اكتب يا شيخ ما تريد وأنا أوقّع.

عندئذٍ كتب الشيخ حسيب غالب هذين البيتين:

يا أهلَ إهدنَ لن تطولَ إقامتي
في أرضِكم ما بين أهلِ شَهامةِ
فإذا أتاني الموتُ لا تبكوا الذي
يهواكُمُ، وتمتّعوا بِحَمامتي

عالفاضي

بلبل الكورة الشاعر توفيق عبده (دار شمزين) أغراه مرّة صديق له بالذهاب إلى أحد المستشفيات ليعرفه إلى مريضة... في المستشفى لم يسمح لهما بالدخول، في حين كانت النساء والفتيات يدخلن دون إذن، فقال البلبل:

عــالـمستـشـفـى بـهــا الأوقـات
جـيـنــا ومــا اسـتـقـبـلتـونــا
كـيـفـتـا بتـخـلّو الـستّـات
ونـحـنـا مــا بـتـخـلّونـا

وبعد التي واللتيا دخل شاعرنا وصديقه وزارا المريضة... ولكن سرعان ما خرجا ولسان حال البلبل يقول:

ضحّينــا ومـا اعــطينـا سكــوت
تـانـشـوف الـوجـه الـراضـي
ريـتــن مــا خـلّونـا نـفـوت
ولا تـعـذّبـنـا عـالـفـاضـي

حجّ وكنيسة مار مارون

الشاعر علي الحاج المشهور، أحد أركان جوقة شحرور الوادي، كان يشرب كأساً من العرق في منزل صديقه الشاعر أسعد السبعلي في الجميزة - بيروت قرب كنيسة مار مارون. وفيما هما بين أخذ ورد، وكأس تترع وأخرى تفرغ، دخل شاب وسأل علي الحاج قائلاً: وين كنيسة مار مارون؟

فأجابه الحاج علي الفور:

بيت أسعد للشعر محجّ
شفنا الإلفة كيف بتكون
ماروني عم يسأل حجّ
وين كنيسة مار مارون

محسوبك حلّاق

بولس عبد الله حلّاق، ترك مهنته وحوّل محلّه إلى محل لبيع الألعاب وأوراق اليانصيب. منذ زمان ينظم القرّادي في الغزل والمناسبات. مرةً تحرّش بصبية، وكان في عزّ طلعته، ومحلّه تحت عريشة سمعان القارح، المحل والعريشة أزيلا مع البيوت المجاورة، لتقوم مكانها ثانوية زغرتا الرسمية. الصبية سألته: من أنت؟ فأجابها قائلاً:

محسوبك واحد حلّاق
تحت العريشة محلّو
قدّيشو عليكي مشتاق
مولّع فيكي يا دلّو
وبوسه من خدّك لو ذاق
بيعيف العالم كلّو
ويكنيستك بعمل شدياق
برتّل والناس يصلّو
هلّلويا عالعشّاق
وتشبحتو لمريو بقلّو

غنجت الصبية وقالت: لم أعرفك بعد؟
فقال بولس:
قديشك حلوه وما شالله
جبلك بإيدو الله
وان سالتي عن إسمي
إسمي بولس عبد الله

دهب أصلي

سرق أحدهم حلى الأديبة الآنسة سوزان بعيني مديرة ثانوية زغرتا، وأمينة سرّ الرابطة الأدبية الشمالية، من ذهب وغيره: أساور، حلق، عقود، خواتم... الشاعر فؤاد نعمان الخوري (من بحويتا قضاء طرابلس) صاحب دواوين «دعسة ناقصة» و«معزوفة الحزن العتيق» و«مجدك يجي» لم يترك المناسبة تمرّ دون مداعبة حلوة، فقال للأديبة سوزان:

طـمّنتي واتـطمنتي ... ولـجيـرانـك إمّـنـتـي

لـو بـدّن دهب أصلي ... كـانـوا سـرقـوكي إنتي

كلاب باريس

قرأ الأديب الأب طانيوس منعم، ذات يوم، في إحدى الصحف اللبنانية خبراً مفاده أن الكلاب في باريس تعلّمت احترام قوانين السير والشارة الضوئية. ولم يمض على قراءته الخبر بعض الوقت حتى شهد سائقاً مخالفاً شاهراً مسدسه بوجه شرطي السير، فتألم الأب منعم وكتب الأبيات الآتية:

إنّ الكلابَ ترى للسيرِ ضابطةً
في شارةٍ هي حمراءُ وخضراءُ
تَدَرَّبَتْ فَوَعَتْ لوناً يقولُ لها
سيري، وآخر إنّ السَّيْرَ إخطاءُ
تقعي فترقب ما يُعطي لِناظرِها
فيستبينُ لها حَثٌّ وإبطاءُ
ذواتُ أربعَ أذكى في تمرّنِها
من ذي اثنتين له عقلٌ وحوباءُ
وذاتُ نابٍ لها رِفْقٌ بصاحِبِها
ورأفةٌ بِذَواتِ الجِنْسِ بيضاءُ
لا يَسْتَبِدُّ بها حقدٌ وَمَوْجِدَةٌ
وشهوةٌ لِسفاحِ الدمِّ حمراءُ
كلابُ باريسَ لابْنِ الأرْزِ موعظةٌ
تُلقي عليه دروسَ السَّيْرِ عجماءُ

شماتة

رأى الشاعر خريستو نجم في إحدى المجلات صورة التي أحبّها، ولم يكن له معها نصيب إلاّ نصيب الحبّ، فكتب إليها شامتاً ولائماً ومتسائلاً: أهذا مجدك الآن؟ وقال:

مـدامُ فـلان أقـرأُهـا بِـذَيْـلِ الـرّسمِ عُنْـوانـا

فيـا خَجَلي ويـا أسَفي على الماضي الذي كانا

أهـذا المجدُ أن تتـألقي شـالاً وفُـسْـتـانـا؟

وَرَسـمـاً كنـتُ أعْـبُـدُهُ فصـارَ اليـومَ شيـطانـا

وَوَجْـهـاً في تَـبَـرُّجِـهِ أرى صُـوَراً وَألـوانـا

وَهُـدْبـاً لـستُ أذْكُـرُهُ بهـذا الـرّمْشِ مُـزْدانـا

وَأَصْـبـاغـاً وَأَقْـراطـاً وسـلسـلةً وثُـعـبـانـا

أيـا كمبـارسُ يـا ملهىً رخيـصَ الفـنِّ مجّـانـا

كلّنا للفتن

عُرف الأديب والرسّام والناقد يوسف النعيمي بلسعاته الموجعة. من هذه اللسعات نشيد دبّوري (نسبة إلى مجلة الدبور التي كان يحرر ويرسم فيها) نظمه على وزن النشيد اللبناني، إنّما بمضمون... كأنه كتب لنا في هذه الأيام الرديئة. والنشيد هو:

كـلُّـنـا لِـلفِـتَـنْ   لـلبـلا لـلألـمْ
عَيْشُـنـا في الـوَطَـنْ   عـبـرةٌ لـلأمـمْ

*

مـا عـرانـا اتّصـالْ   مـا عـرانـا ائتـلافْ
كـلُّـنـا في انـفصـالْ   كـلّـنـا في اختـلافْ

*

سَـهْـلُـنـا والـجَـبَـلْ   مـنـبـتٌ لـلشـقـاءْ
قـولـنـا والـعَـمَـلْ   فـي سبـيـل الفـنـاءْ

*

شـيـخُـنـا والـفـتـى   مـا وراءَ الـبـحـورْ
هـم أسـودٌ مـتـى   عـاد مَنْ في القبـورْ

*

شَـرْقُـنـا قَـلْبُـهُ   أبَـداً في اضـطرابْ
زادَهُ رَبُّـهُ   حَـسَـداً واحـتـرابْ

*

بَحْـرُهُ بَرُّهُ   دُرَّةٌ ضـائِـعَـةْ
رِفْـدُهُ بِـرُّهُ   عَـظْمـةٌ هـاجِـعَـةْ

وجرّي

التقى الروائي يوسف يونس، ذات يوم، بحسناء ترتدي «الماكسي» فتململ الشعر في خاطره، وقال لها:

جَرَرْتِ الذَّيْلَ تيهاً فاستمرّي
وجرّي ما استطعتِ أن تَجرّي
ففي الفضفاضِ طولاً واتّساعاً
جمالٌ يَزْدري قُبْحَ التعرّي

أسرع

كان الشاعر بولس سلامة قاضي تحقيق في الشمال، وكان الشاعر الكوراني أنيس روفايل مساعداً قضائياً. ويوصف سلامة نائباً عن رئيس المحكمة أثناء العطلة القضائية أجاب طلب روفايل مرتين بالانصراف من العمل يوم الجمعة بدل السبت. ودعته الحاجة إلى طلب الإذن مرّة ثالثة، فقدّم لسلامة هذه الأبيات:

طيفُ الحبيبةِ يدعوني لرؤيتها
وهاتفُ القلبِ للإسراعِ يَدْعوني
شوقٌ وحقٌّ الهوى العذريّ يُؤْلِمُني
ما بحتُ بالشوقِ حتى كادَ يكويني
أجِزْ بِربِّكَ لي ذا اليومَ رُؤْيَتَها
فإنْ فَعَلْتَ فخيرِ الفضلِ تُوليني
أريدُ يوماً فلا تَبْخَلْ عليّ بِهِ
طلبتُ يوماً وعامٌ ليس يكفيني
من ذاقَ مثلك طعْمَ الحبِّ رَقَّ على
صبٍّ بِحُسْنِ فتاةِ الحيِّ مفتونِ

فأرسل الشاعر بولس سلامة إليه على الفور:

إلى الحبيبةِ أسْرِعْ قد أجَزْناكا
وَاهْنأْ بمرأى التي تهوى وتهواكا

هوّي والكركي

الشيخ ناصيف الشمرّ صديق الأدباء والشعراء، هو أيضاً صديق الكركي ونديمها في ليالي الجبل والكروم. دعاه الشاعر فؤاد نعمان الخوري إلى مسقط رأسه بحويتا لقضاء سهرة حول الكركي . . . وبعدما طال السهر وفضيت الكاسات وداخت، قال فؤاد مداعباً:

جـانـا الـشيـخ ويـخـزي العيـن
كـاسـيـن بـضـهـر الـكـاسـيـن
ويـعـرق هـوّي والـكـركـي
صـاروا بـدال الـكـركي تـنـيـن

كما الأب كذلك الابن

كان للشيخ حسيب غالب، المهندس الشاعر، صديق تعوّد زيارته في طرابلس ومعه ابنه الوحيد. ذات يوم أقبل الصديق وابنه إلى بيت حسيب، الذي لم يكن يتوقع هذه الزيارة، فأخفى عنهما امتعاضه، وخلال الحديث سأله الوالد: ما رأيك يا شيخ بابني؟ فأجابه شاعرنا على الفور مداعباً:

لـي صـديقٌ مـخلصٌ يُـدعى حَمَـدْ
قـد أتى الـدّنيـا لـتكـميـل العَـدَدْ
فَـهُـوَ بيـنَ الـنـاس أخـرى والـدٍ
وابـنُـه مـا بيـنـهـم أخـرى وَلَـدْ

تصفيق... لها

أحس الشاعر خريستو نجم بالضجر، وهو يستمع إلى أحد المحاضرين، ولم يشأ الخروج تأدبًا، فأدار عينيه في الجمهور، فرأى صديقة له، وهي سيدة حلوة، تجلس على رمية نظر يميناً، عندها قرّر أن يدير أذناً صوب المحاضر، والعينين إليها، ويصفّق مع المصفّقين... لها.

بعد المحاضرة اقترب الشاعر من صديقته، وأخبرها ما جرى معه، ثم سألها إذا ما كان الناس يصفّقون له في أمسياته الشعرية أم لها. وكانت هذه الأبيات:

كنتُ هناك حاضراً وكنتِ أنتِ حاضرهْ
أرنو إليكِ خلسةً وأسمعُ المحاضرهْ
ما كان أحلى ما يقال حبّذا من خاطِرهْ
صفّقتُ من قلبي لها ثانيةً وعاشرهْ
أهكذا الناسُ تُرى في أمسياتي الشاعرهْ
قد صفّقوا لأنهم رأوكِ مثلي حاضرهْ؟

وكتب علي الحاج:

أهل الغرام بغمزتين بيرتشو
بيسرقو قلوب البشر ما بيختشو
يا ريت إنّي عسكري وأعمى البصر
تاضلّ بقبش عالحرامي واكمشو

الخيزران

في مقهى الخيزران، بين صيدا وصور (لا نعرف ما إذا كان لا يزال قائماً) جلس ذات يوم القاضي الشاعر أنيس روفايل، وقبالته حسناء جميلة. أخذه جمالها وحسن قوامها، فنظم هذه الأبيات:

جَلَسَتْ بمقهى الخيزرانْ
حسناءُ من أبهى الحسانْ
فَكَأنّها جاءتْ إليه
تزيدُ فِتْنَتَهُ افتتانْ
وكأنّه من قَدِّها
أخَذَ اسمَ مقهى الخيزرانْ

الشكر بزلغوطة

أفهم القاضي إميل أبو سمرا المدّعية أنّ قضيّتها بسيطة، وشرح لها ما يجب عمله لتكتمل أوراقها، فشكرته بزلغوطة:

رَبّ السما ع رقابنا ولّاك
وعيّنك قاضي علينا وعلّاك
آويها يا حضرة القاضي
كل سنة تعتلى مدماك

ضحك القاضي أبو سمرا وقال لها اغلقي باب قاعة المحكمة وتقدّمي، وأجابها بالزّجل:

عطرك بالأوضة عابق
القول لغيرك مش لابق
ع حسابك قدّيش بدّي
ت عمّر لي شي طابق؟*

* الزجل اللبناني شعراء ظرفاء ص ١٥٨.

ما في داعي

عاد الشاعر طانيوس الحملاوي من السفر، وما إن وصل إلى مطار بيروت، حتى بدأ رجال الأمن بتفتيش حقائبه، فقال لهم:

ما في داعي للتفتيش
بعد الرحلة المشهورة
راجع دفّ بلا خشاخيش
والدربكّه مكسورة

وكان الحملاوي على ظهر الباخرة في طريقه إلى الغربة، عندما ثار محيط الاطلنتيك وهاج، وقال له الردّة المعروفة:

بتتمرجل يا أطلنتيك
والحملاوي مسافر فيك
إن الله لقّطني بالبّر
ونقفت الدفّ بفرجيك

فهرس المصادر والمراجع

- البيدر (مجلة). صاحبها وليم صعب.
- الجعبة الأخيرة. سعيد فريحة، دار الصياد، ١٩٧٨.
- الحكمة (مجلة).
- ديوان رستم. أسعد رستم، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٠٨.
- ذكريات. شاهين القزّي، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- رسائل مارون عبود. مارون عبود، دار مارون عبود، ١٩٧٧.
- الرستميات. مطبعة جريدة النسر اليومية في ٦٠ و٦٢ شارع واشنطون نيويورك.
- الزجل اللبناني، شعراء ظرفاء. جوزف أبي ضاهر، دار كنعان، ١٩٩١.
- صوت الشاعر (مجلة). صاحبها روبير الخوري.
- الضاحكون. محمد قرة علي، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٠.
- الظرف وظرافات. فؤاد توفيق المشعلاني.
- لئلا تضيع. سلام الراسي، مؤسسة نوفل، بيروت.
- مارون عبود، لطائف وطرائف. رياض حنين، دار مارون عبود، ١٩٨٦.
- مجمع المسرّات. الدكتور شاكر الخوري، قدّم له د. الياس قطار، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٥.
- مع الشعراء... عِبَر وإبَر. إعداد انطوان القوال (مجلة الشمال وكالة أنباء الشرق).
- منجيرة الراعي. أسعد السبعلي، مطبعة ستاركو، ١٩٦٩.

- نكات خازنية، ١ و ٢، رياض حنين، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٠.
- النكتة اللبنانية تتمة لحضارة حلوة. د. أنيس فريحة، جروس برس، طرابلس، ١٩٨٨.
- نوادر القضاة والمحامين. المحامي نزيه شلالا، دار صادر، بيروت، ١٩٩١.
- وجوه ومرايا. محسن أ. يمين، منشورات البيت الثقافي زغرتا ـ الزاوية، ١٩٩١.

ظُرفاءُ لُبنان

الظريف هو الشخص الذي يتمتّع بالذكاء المقرون بالبراعة، وبسرعة الخاطر، والكياسة واللياقة في التصرّف والقول والمظهر. وهو إلى ذلك فكه ضحوك، في نكاته، وردوده، وتعليقه على قول أو حدث. وكثيراً ما يشيع كلامه، ويصبح قولاً سائراً يُردّد في مثل المناسبة التي قيل فيها.

جاء في كتاب «الظرف والظرفاء» للوشّاء:

«اعلم أنّ من كمال أدب الأدباء، وحسن تظرّف الظرفاء، صبرَهم على ما تولّدت به المكارم، واجتنابهم لخسيس المآثم، وأخذهم بالشّيم السنيّة، والأخلاق الرضيّة... يتسرّعون إلى الأمور الجليلة، ويتبطّأون عند الأشياء الرذيلة، فهم أمراء مجالسهم، بهم يفتح عسر الأغلاق، وبهم يتألّف متنافر الأخلاق، تسمو إليهم الآماق، وتنثني عليهم الأعناق، ولا يطمع في عيبهم العائب، ولا يقدر على مثالبهم الطالب...».

بيسان
للنشر والاعلام والتوزيع
ص.ب 13/5261 بيروت ـ لبنان.
هاتف: 865126 - 802389